

**المستشرقون وديانة الصابئة
المندائية من خلال
مواقع الصابئة المندائيين**

د. حياة بنت سعيد بأخضر

أستاذ مشارك بمعهد اللغة العربية للناطقين بغيرها
جامعة أم القرى . تخصص : عقيدة



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

المستشرقون وديانة الصابئة المندائية من خلال مواقع الصابئة

المندائيين

المقدمة

إن الحمد لله نحمده على نعمته الهداية للإسلام ونسأله تعالى الثبات عليه، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الاستشراق قوة خفية مناصرة للاحتلال الظاهر الذي يحتاج إلى من يكشف له مواطن ضعف من يريد غزوهم ، ويضع يده على الثغرات التي تحطم الثغور؛ لذا نجد الاحتلال لا يألوا جهدا في الاستفادة من كل طائفة سواء كانت دينية أو علمية أو اجتماعية أو اقتصادية لبيسط نفوذهم.

ومما يلفت نظر كل قارئ لأعمال المستشرقين:

- ١- تحديدهم لأهدافهم بدقة وعناية.
- ٢- صبرهم وجلدهم للوصول إلى غاياتهم سواء بتعلم اللغات أو السفر والترحال وغير ذلك مع التعرض للأخطار المحيطة بكل ما سبق فاللهم نعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة.
- ٣- الرعاية والعناية التي يجدونها من دولهم وجامعاتهم ومراكزهم العلمية وهذا ما نفتقده في دولنا الإسلامية مع شديد الأسف.

والصابئة طائفة مثلت للمستشرقين عالما منطويا له وجوده المتجذر في التاريخ والبيئة العربية ، وله سماته الباطنية المكتنفة لطقوسه المعلنة في زوايا تجمعاتهم .وله حضوره في المشهد السياسي في مواطن سكنه. وله ارتباطه بالديانة النصرانية في العلاقة الواحدة مع نبي الله يحيى عليه السلام . وهذا كله شكل للمستشرقين طريقا بل طرقا لشهوة السيطرة على العالم الإسلامي. فكانت هناك جهود ظاهرة للمستشرقين بين طائفة الصابئة المندائيين في مناطق تجمعهم في العراق وإيران ، فكتبوا عنهم وترجموا كتبهم المقدسة ، بل ألفوا معجما خاصا بلغتهم الآرامية .ومما لفت نظري للكتابة في دور المستشرقين أني لاحظت أثناء قراءتي في مجلة آفاق مندائية

وقراءتي في المراجع الصابئية اعتمادهم الكلي على المستشرقين خاصة في مجال البحث التاريخي لأصول الصابئة^١. بل ثناؤهم على جهودهم وكتابتهم المستمرة عن جهودهم. ونظرا لكل ذلك توجهت همتي للكتابة عن بعض هؤلاء المستشرقين بذكر بعض من آثارهم على هذه الطائفة .

أهم الصعوبات:

- (١) طبيعة الكتابة في أبحاث الترقية تستدعي الاختصار مع وجوب الوفاء بالموضوع.
- (٢) قلة بل ندرة مراجع فرقة الصابئة التي تمكنت - بفضل الله - من الوصول إليها خاصة أن الوصول للعراق أمر متعسر كما هو معلوم بالضرورة.
- (٣) ندرة المراجع التي كتبت عن المستشرقين في مجال ديانة الصابئة؛ مما جعلني اعتمد على المواقع الإلكترونية كثيرا كحل أخير؛ وذلك لعدم يسر الوصول إليها عبر مصادر ورقية متوفرة، وكذلك لكثرة ما كتبه عنهم الصابئة المندائيون المعاصرون في مواقعهم المعاصرة والتي تمثل دينهم وثقافتهم؛ لذا حرصت على ربط عنوان بحثي بمواقعهم حتى تكون صورة بحثي ظاهرة للعيان بأني جمعت فيه بين المراجع الورقية والإلكترونية، والاعتماد على المواقع خاصة والشبكة الإلكترونية عامة بات سمة معاصرة حتى بين الحكومات التي سميت حكومات الكترونية
- (٤) تغير مواقع الصابئة في ثبات ما يدونونه في مواقعهم فمواقع أغلقت وأخرى وضعت نفس المقالة بعنوان آخر وهكذا..... مما جعلني أراجع أكثر من مرة وهذا مرهق ذهنيا ونفسيا .
- (٥) الاختصار في عرض السيرة الذاتية للمستشرقين سواء في المراجع الورقية أو المواقع الإلكترونية. فعلى سبيل المثال: من ذكرهم في كتبه لم يهتم إبراز دورهم في ديانة الصابئة .

منهجي في البحث:

^١ / انظر مجلة آفاق مندائية العدد ٢٧ السنة الثامنة ٢٠٠٣ مقالة دراسة التطورات في النقاش حول أصل المندائيين " ص ٢٠

- ٢٢، مقابلة مع كورت رودولف ص/ ٣٦ - ٣٧

المنهج : هو المنهج الاستقرائي التحليلي.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في أن الكتابة عن دور المستشرقين في ديانة الصابئة المندائيين لم يفرد ببحث - كما ظهر لي أثناء إعداد بحثي - رغم أهمية ذلك ليس فقط على الصابئة أنفسهم بل على المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وأثار ذلك ماضيا وحاضرا ومستقبلا. فالاستشراق لا يهدأ البتة بل عجلته تدور لدوام الصراع بين الحق والباطل.

خطة البحث:

قسمت بحثي إلى مقدمة وخاتمة وستة مباحث كما يلي:

المقدمة: وشملت أهمية البحث وأهم الصعوبات التي واجهتها ومنهجي وخطتي.

المبحث الأول: مفهوم الصابئة.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي.

المبحث الثاني: مفهوم الاستشراق.

المبحث الثالث: أهداف المستشرقين.

المبحث الرابع: تأريخ الاستشراق في ديانة الصابئة المندائيين.

المبحث الخامس: موقف الصابئة المندائيين من أعمال المستشرقين.

المبحث السادس: نماذج لبعض المستشرقين.

الخاتمة: وتشمل أهم التوصيات والنتائج.

ثبت المراجع

الضهرس

وأسعد بتقديم عبارات الشكر وصادق الدعاء لأسرتي الغالية وأهلي الكرام على ما بذلوه معي من صبر وعون ودعاء، كما أتقدم بالشكر للدكتور جمال حديجان من اليمن وأ.مازن الموصللي من العراق على ما قاما به من جهود في توفير مصادر عن الصابئة بواسطة أخي عبد الله.

والحمد لله على تيسيره فقد كتبت بحثي وأنا أعيش القلق على أمة الغالية التي دخلت المشفى ثلاثة أشهر تخرج منها أياما وتعود نتناوب الجلوس معها أنا وأخوتي. بلغنا الله تمام برها وتمام عافيتها.

وفي كل حين أسأله تعالى أن يجعل أعمالي كلها صالحة لوجهه خالصة ولا يجعل لأحد فيها شيئا. وأن يكون بحثي قد وضع لبنة علمية في مسار الاستشراق يُبنى عليه أبحاث مستفيضة نافعة. آمين. ولا أدعي لبحثي الوفاء بعناصره لكن حسبي أنني بذلت جهدي الذي لن يتوقف لإكماله مستقبلا بمشيئة الله وتوفيقه.

المبحث الأول

مفهوم الصابئة

المطلب الأول : المفهوم اللغوي

إن كلمة الصابئة مأخوذة من الفعل الثلاثي (صَبَأَ يَصْبَأُ صَبْأً وَصُبُوءاً، وَصَبُوءٌ يَصْبُوءُ صَبْأً وَصُبُوءاً). كلاهما: خرج من دين إلى آخر كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها، ويقال أصبأت القوم إذا هجمت عليهم وأنت لا تشعر بمكانهم، وصبأت على القوم وصبعت أي تدل عليهم غيرهم ، وتنطق مهموزة وغير مهموزة)^١.

(فالصابئة في اللغة إذن : هم أولئك الخارجون على عبادة قومهم ، المخالفون لهم في ديانتهم ، شأنهم في ذلك شأن من نسميهم في أيامنا بالملحدين أو الهدامين ، أو أي مصطلح آخر يرمى به من يخرج على ديانة المجتمع و قيمه و تقاليده .. ازدراء لهم و تنفيراً للناس منهم)^٢ (فالصبوة في مقابلة الحنيفية فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة)^٣؛ لذا نجد (المسلمين لم يرتاحوا لهذه التسمية ، بل كانوا يكذبون كل من يطلق عليهم هذه التسمية من المشركين ، فلما نادى - جميل بن معمر الجمحي - في قريش قائلاً : ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ ... وذلك حين دخل في الإسلام - فنادى عمر - رضي الله عنه وأرضاه - من خلفه قائلاً: لقد كذب .. إني أسلمت .. فتكذيب عمر - رضي الله عنه - وغيره للوثنيين من أهل مكة ، يشعر بأن أهل مكة إنما أطلقوا على المسلمين هذه التسمية إهانة لهم ، وازدراء بهم لأنها كانت سبة عندهم ، وإلا لما انزعج المسلمون منها)^٤.

ولكن هذا المعنى اللغوي يرفضه الصابئة الحاليون ويرون: أن معنى اسمهم لغويا مأخوذ من الفعل الثلاثي " صَبَأَ " ومنه صب الماء ونحوه: أراقه وسكبه^٥ (و أصل الكلمة

^١ / جمال الدين محمد بن منظور . لسان العرب . ج/ ١ . ص/ ١٠٨ . بيروت . دار صادر .

^٢ / د. جواد علي . الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام / ص/ ٧٠٤ . بيروت . دار العلم للملايين . بغداد . مكتبة النهضة . الطبعة الأولى . ١٩٧٠ .

^٣ / محمد عبد الكريم الشهرستاني . الملل والنحل . ج/ ٢ / ص/ ٣٠٧ . تحقيق: عبد الأمير المهنا، علي فاعور. بيروت دار المعرفة . الطبعة الأولى . ١٤١٠ - ١٩٩٠

^٤ / د. جواد علي . المرجع السابق . ص/ ٧٠٣ - ٧٠٤ .

^٥ / جمال الدين بن منظور . المرجع السابق / ص/ ٥١٥

مندائياً آرامياً حيث جاءت الكلمة من الجذر (صبا) أي ارتمس أو غطس وكذلك جاء هذا الجذر في اللغة العربية مماثلاً كما في اللغة المندائية وجاء تفسيره في المعاجم العربية هو صب الماء من الرأس إلى أخصم القدم أو الارتماس في الماء وجاءت تسمية الصبة أو الصابئة من خلال المحيط لهم وهم يغطسون ويرتمسون بالماء^٧. وعملية التعميد تعني " مصبتا " وهو يتفق مع طقسهم الرئيس في شريعتهم وهو الاغتسال في المياه الجارية .

ولكننا نجد باحثة مندائية تحاول الجمع بين أصل الكلمة عربياً وصابئياً من خلال الفعلين صباً وصبغ لتثبت - في زعمها - صدق دينها فتقول: نحن إن عدنا إلى المصادر الصابئية لوجدنا فيها كلمة " صبا " الغير مهموزة ومشتقاتها وهي من المفردات المندائية الآرامية وتعني التعميد أو التطهير بالماء كشعيرة دينية أساسية من شعائر الصابئة المندائيين وهم يطلقون على هذه الشعيرة " صباغة " فيكون تفسيرها إلى اللغة العربية: صبا: صبغ والكلمة بهذا المعنى واردة في اللغة الأكديّة "صبيو" " صبيو توم " ، ثم ذكرت عدة مشتقات للكلمة في اللغة الآرامية تعود إلى معنى التعميد بالغطس في الماء: صبا ،صببت ، مصبوتا ، مصطبا، وحاولت ربط ما سبق بالفعل الثلاثي العربي " صبغ "وقالت : إن هذه الكلمة تحمل المعنى المادي وهو الارتماس أو الغمس في الماء كما أنها تحمل في الوقت ذاته معنى دينياً هو التحول أو الدخول في دين جديد وذكرت معنى الفعل في اللغة العربية واختارت المعنى الآتي: "الصبغ الغمس والتغيير وسمت النصارى غمسهم أولادهم في الماء صبغا لغمسهم إياهم فيه ، تطهيراً له وصبغة الله : دينه والصبغة الشريعة والخلفة وقيل كل ما تقرب به "وتخلص إلى وجود تناظر واضح بين الكلمة الآرامية "صبا" والكلمتين العربيتين : " صباً "و "صبغ" إذ أن الكلمات الثلاث تحوي مدلولاً دينياً واحداً هو التغيير أو التحول من دين إلى دين آخر والغمس للتطهير فتكون الخلاصة: أن الصابئى هو الشخص الذي صبأ - عربية - أي دخل في دين الصابئة بعد أن صبا - آرامية - أي اصطبغ أو تعمد بالماء^٨.

^٧ / شعائر ومفردات دينية ومعانيها www.mandaean.se موقع المندائيين .وانظر: عزيز سباهي . أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية . ص / ٣٢ دمشق . دار المدى . الطبعة الرابعة ٢٠٠٨
^٨ / انظر :ناجية مراني . مفاهيم صابئية مندائية . ص / ٥٢ - ٥٤ . بغداد . الطبعة الثانية . ١٩٨١ ، وانظر: ابن منظور المرجع السابق . ج / ٦ . ص / ٤٣٧ - ٤٣٨ .

وقيل أيضاً أن أصل الكلمة (عبرية ثم نقلت إلى الجزيرة العربية وصارت بمعنى خرج ومال وإلا فهي في معناها بالعبري تطلق على ما يتصل بالحروب والجهاد وقيل من الفعل العبري صبغ أي غطس وقيل إن كلمة " صباوث" التي تعني جند السماء^٩ وهذا القول يحتاج إلى تحرير يربط صحة هذه الأقوال بصحة مفهوم الكلمة في اللغة العبرية .

المطلب الثاني : المفهوم الاصطلاحي

لقد وضع الصابئة لأنفسهم تعريفاً خاصاً بهم مشتق من عقيدتهم في كتبهم المقدسة عندهم، وقد أخذته من كتاباتهم فيقول أحدهم: (الصابئة هي (مندائيي)، وهذه تعني شينين :

فسرها بعض علماء اللغات بأنها تعني " العارف"، ومن كلمة العارف أو المعرفة اشتقت كلمة المعرفين أي (*Gnostic*). وكلمة المعرفة تعني معرفة الله من جراء تأمل أو نساك أو تصوف وتفكير عميق في أن هذا الكون يحتاج إلى خالق مدبر، أو إلى موجد مكوّن. وهذا التفكير العميق لا يحتاج إلى أنبياء ورسول ليوصلوه إلى الناس ويفرضوا عليهم طاعته وعبادته، وعلى هذا فقد فرض من جراء هذا الاعتقاد أن الصابئة لا يؤمنون برسالة الأنبياء، وهذا عكس ما هو موجود في كتبهم أي إيمانهم بآدم وشيث وسام ويحيى ومنهم اشتهقوا منابع دياناتهم. أما القول الثاني والذي أفسره أنا كما يفسره بعض العلماء غيري - هذه العبارة نقلًا عن الكاتب الصابئي غضبان الرومي - أن كلمة مندائي مشتقة من مندا وتعني الموحد ومنها أخذت مندي وتعني محل العبادة أو التوحيد. وكلمة مندا اد هيبي وتعني توحيد الله وعبادته.

إذن فكلمة مندائي تعني وتشمل الموحدين أكثر مما يقصدها بعض العلماء من المستشرقين. وعلى كلا الشكلين فالدين الصابئي سواء كان من المعرفة أو من المندائية فهو يعني توحيد خالق لهذا الكون. خالق علوي يعجز الإنسان أن يصفه أو أن يعرف تكوينه أو أن يعرف كنهه، لأن أي وصف تطلقه عليه تجده أعلى منه وأكثر دقة وشمولاً من ذلك الوصف) ومنهم من يرى أنه اشتقت كلمة الصابئة من (صبا *Sba*) الأرامية وتعني من صبغ أو تعمد وتعني بالعربية الصابئي كل من خرج من دين إلى دين آخر. وكلا الكلمتين يعنيان شيئاً واحداً وهو التغيير العبادي. فالتعמיד في العقيدة الصابئية يجعل الشخص يتبع بعد التعמיד العقيدة الصابئية، وقد جاء في كتاب " الكنز الرباني أو صحف آدم، وهو الكتاب الذي شرح ووضح عبادة الصابئة وفلسفة عقيدتهم قوله " مَصْفِيْتَحْ مِتْفَرَقْحُ مِنْ يَهُودُوثِهْ إِلَى مَنديُوثِهْ" أي إن

عمادك يخرجك من اليهودية إلى المندائية. وعلى هذا فالتعيميد يعني إعطاء الفرد الصابئي صفته الصابئية أو اسم الصابئية)^{١١}.

ووجدت منهم من يقول إن تسميتهم بالصابئة تعود إلى حفيد إدريس عليه السلام " صابئ بن قشلوح بن إدريس "وهذا الكلام غير دقيق؛ لأنه لا تولد الأسماء قبل المسميات"^{١١}.

وعند القراءة في كتبهم المقدسة نجدهم يعنون بالتوحيد تعطيل إلههم عن كل الصفات وليس المقصود به التوحيد الحقيقي الذي نعرفه كمسلمين .

ولكن المفهوم الحقيقي للصابئة^{١٢} هو (التي تعتبر يحيى عليه السلام نبيا لها، يقدس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي والتعيميد في المياه الجارية من أهم معالمهم)^{١٣} .

(واختلف فيهم على عدة أقوال: فمنهم من يرى أنهم من النصرى، ومنهم من يقول إنهم من اليهود، ومنهم من يقول إنهم من المجوس، ومنهم من يقول إنهم من لا دين لهم: من كانوا على الفطرة ولا يتدينون بدين)^{١٤}.

ولكن صابئة العراق المعاصرين يفضلون تسمية أنفسهم بالمندائين لأن (اسم "الصابئين" كاسم لهذه الطائفة غير معروف عندنا لا دينياً ولا تاريخياً لأننا نعرف أنفسنا (مندائي) فلا بد إذاً من أن تكون تسميتنا بالصابئين قد جاءت من الأقوام التي حولنا، فإذا علمنا أن الشعار الديني الرئيسي لدينا هو الارتماس في الماء الجاري، وأن طهارتنا اليومية تمارس كذلك عن طريق الاغتسال في الماء، وأن هذه الممارسة

^{١١} / غضبان الرومي . مذكرات مندائية. ص/ ٣١ - ٣٢. دمشق. دار المدى.

^{١١} / انظر: د. عقيد خالد د. يحيى أحمد الصابئة المندائيون وعقائدهم . ص/ ١٥ . بيروت. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.

١٤٢٨ - ٢٠٠٧

^{١٢} / الصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية اليوم

^{١٣} / الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. ج/ ٢، ص/ ٧٢٤ . الرياض. الندوة العالمية للشباب الإسلامي

الطبعة الثالثة. ١٤١٨

^{١٤} / العلامة : محمد بن صالح العثيمين. تفسير القرآن العظيم. تفسير الفاتحة وسورة البقرة م/ ٠١ . ص. ٢٢٢ . الرياض. دار

ابن الجوزي. الطبعة الأولى. ١٤٢٣ . وانظر في تفاصيل الاختلاف فيهم. د. رشدي عليان . الصابئون . حرانيون ومندائيون .

ص/ ١٦ - ١٧ . بغداد .

تسمى عندنا (مصبته) أي التعميد، ترجح لدينا أن التسمية (صابئي) مأخوذة من فعل (صبا) الأرامي ومعناه يرتمس ويتعمد، ونحن نقول في صيغة الأذان عندنا (انش صابي بمصبته شلمى) أي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم. كما نقول في التعميد (صبينا بمصبته اد بهرام ربه) أي تعمدت بعماد إبراهيم الكبير، ولا بد هنا الإشارة إلى أن اللغة المندائية تخلو من التنقيط ومن بعض الحروف الموجودة في اللغة العربية ومنها حروف ع غ ض ظ ويستعاض عنها في بعض الأحيان بحرف الهاء لأنه أسهل في اللفظ علماً أن حرف العين موجود إلا أنه مهمل عملياً، ومن هنا بدأت أول مشكلات النطق فتحول الفعل " اصطبغ " إلى " اصطبأ "، وبمرور الوقت تحول اللفظ إلى [صبا]، ومنه بدأت أول المشاكل مع إخواننا المسلمين حيث نتذكر جميعاً أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يلقب بالصابئ لأنه خرج عن دين آبائه لكنها تعني في اللغة المندائية تعمد، ارتمس في الماء. ولدينا الكثير من العبارات التي تذكر كلمة (المصبته) كثيراً في طقوسنا. فمن المعقول أن يكون الأقوام المجاورون لنا، وكثير منهم آراميون ويعرفون اللغة الآرامية، قد أطلقوا علينا اسم (الصابئين) أي المغتسل بالآرامية، وقد أيد هذا الرأي كثير من الباحثين، منهم نولدكه والأب الكرمللي و الليدي دراوير والبروفسور أوليري وكثيرون غيرهم)¹⁰، وتري باحثة مندائية أن (الصابئة والمندائيين تسميتان لمسمى واحد)¹¹.

ولكن مقدم كتاب " الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيون " يذكر (أن المندائي هو اسم مكان أما الصابئي فهم الاسم الديني) وبما أنه من إيران ويكتب عن هذه الطائفة المستقرة في إيران فهو يعيد اسم المندائي إلى دولة " ماد " أو " مادي " التي هي الآن إيران واتخذوا بالتالي - على حسب رأيه - اسماً جديداً لهم من

¹⁰ د. غازي الأميري . الصابئة المندائيون.. مصير مجهول يلفه الضياع والتشرد والتشردم والاندثار

2007 GMT 10:30:00 الجمعة 30 مارس . مؤسسة الحوار

المتمدن <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=92659> والكاتب صابئي عراقي قدم ورقته هذه في

مؤتمر زيورخ الأول الخاص بأقليات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والمرأة

¹¹ / ناجية المراني. المرجع السابق . ص/ ٥١

هذه الحضارة من المادائي أو الماندائي، ويقوا محافظين على هذا الاسم الجديد على مدى (١٨٠٠ عام)^{١٧}.

وفي سؤال في مجلة مندائية: لماذا تعددت تسميات المندائيين؟ فكان جواب أحد كهنتهم: (اختلفت تسميات الصابئة بسبب بعد تاريخهم وتقلبات العصور فهم يرجعون بجذور عقيدتهم إلى النبي آدم عليه السلام، ولذلك فهم من أقدم الأقسام المؤمنة، ولذلك فإن تعاقب الأطوار والحقب التاريخية وتغيير مكان وجودهم وسكنهم باستمرار هو السبب الرئيسي لاختلاف التسميات التي أطلقت عليهم)^{١٨}.

وفي المقابل نقرأ تعريف الصابئة عند علماء المسلمين لورود اسمهم في ثلاثة مواضع في القرآن^{١٩}. ونظرا لغموضهم وباطنيتهم فقد اختلف حول تعريفهم علماء المسلمين: ونبدأ بأول تفسير وصل إلينا فنقرأ تعريف الإمام الطبري - رحمه الله - : (الصابئون جمع صابئ وهو المستحدث سوى دينه دينا واختلف أهل التأويل في من يلزمه هذا الاسم من أهل الملل، فقال بعضهم: يلزم ذلك كل خارج من دين إلى غير دين، وقالوا: الذين عنى الله بهذا الاسم قوم لا دين لهم، وقال مجاهد: الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارى ولا دين لهم وعنه: الصابئون بين المجوس واليهود لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وقال ابن زيد: الصابئون دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله، وقال آخرون هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة، وزاد قتادة ويقرءون الزبور، وقيل بل هم طائفة من أهل الكتاب)^{٢٠}، وذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذه الأقوال وزاد عليها (قال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي، ثم اختار هذا القول:

^{١٧} / سليم برنجي، الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيون، ص/ ٥ - ٦ مقدمة محمد محيط طباطبائي بعنوان نظرة على الكتاب، بيروت، دار الكنوز، الطبعة الأولى، ١٩٩٧. ولكن المؤلف وهو صابئي يعيش في إيران لا يقبل هذا الاختيار ويقول معقبا عليه: لقد انفرذ السيد محمد طباطبائي دون غيره من الباحثين بإطلاق هذا الاسم الجديد على الصابئة في حين أن كثيرا من المستشرقين وعلماء اللغة يرون أن كلمة مندائي صفة قد اشتقت من لفظ مندا وتعني العلم أو المعرفة ولا علاقة للكلمة باسم ماداي الذي هو اسم دولة ماد الآرية.

^{١٨} / مجلة آفاق مندائية، العدد ٢٧ السنة الثامنة ٢٠٠٣. أنت تسأل وهيئة التحرير تجيب.

^{١٩} / سورة البقرة/ ٦٢، المائدة/ ٦٩، الحج / ١٧

^{٢٠} / الإمام ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج/ ٢، ص/ ٣٥ - ٣٧. تحقيق: د. عبد الله التركي، الجزيرة دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ٢٠٠١.

أنهم قوم ليسوا على دين اليهود والنصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه، ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ أي أنه خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك^{٢١}، ومنهم من يقول: (إنهم من النصارى وصبوا إلى المجوسية ومنهم من قال إن كتابهم الزبور الذي أنزل على داود عليه السلام وهو مواعظ بلا أحكام وقيل إنه أحكام نزل بها جبريل عليه السلام على داود كالأحكام التي نزل بها على النبي ﷺ من غير القرآن)^{٢٢} ونقرأ مجموعة من الأقوال تنقل لنا الاختلاف حولهم منها: إنهم على دين نوح - عليه السلام - وهذا مستبعد حين القراءة في تاريخهم الذي يذكرونه عن أنفسهم ثم لا دليل موثوق عليه: وقد قال ذلك الماوردي - رحمه الله ت ٣٦٤ - (إن الصابئ الخارج من شيء إلى شيء فسمى الصابئون بهذا الاسم لخروجهم من اليهودية إلى النصرانية، وقيل إنهم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام)^{٢٣}، ويرى الزمخشري - رحمه الله - أنهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة^{٢٤}، والآمدي - رحمه الله ت ٦٣١ - يرى أنه: (الأشبه تسمية هذه الطائفة صابئة ليلهم وانحرافهم عن سنن الحق في نبوة الأنبياء؛ لاتخاذهم آلهة غير الله تعالى أخذاً من قول العرب صبأ الرجل إذا مال وانحرف)^{٢٥} والرازي يميل إلى أنهم عباد النجوم، وبعث فيهم إبراهيم عليه السلام وسماهم الصبائية فقال: (قوم يقولون: إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم فهم عبدة الكواكب، ولما بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام كان الناس على دين الصابئة)^{٢٦}، ويقول الرازي قال ابن حزم (وقد يضاف إلى جملة من قال إن مدبر العالم أكثر من واحد الصابئون، وهم يقولون بقدم الأصليين على نحو قول

٢١ / الحافظ ابن كثير . تفسير القرآن العظيم، ج/ ١، ص ١٤٦ وانظر من ص ١٤٨ - ١٤٩ . تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد

عاشور، محمد البنا، القاهرة . دار الشعب

٢٢ / العلامة : عباس السكسكي الحنبلي . البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان . ص / ٩٣ . تحقيق: د. بسام العموش . الأردن .

مكتبة المنار . الطبعة الثانية. ١٤١٧ - ١٩٩٦ .

٢٣ / الإمام الماوردي . تفسير النكت والعيون م / ١ ص / ١٣٢ وتابعه العزبن عبد السلام م / ١ ص / ١٣٠ - ١٣١

٢٤ / الزمخشري . تفسير الكشاف . ج / ١ ص / ٢٨٥

٢٥ / علي سيف الدين الأمدي . أبقار الأفكار في أصول الدين . ج / ١ . ص / ٦٩٠ . تحقيق: أحمد المزيدي . بيروت . دار الكتب

العلمية . الطبعة الأولى. ٢٠٠٢ - ١٤٢٤

٢٦ / فخر الدين الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . ص / ١٢٥ - ١٢٦ . ضبط وتعليق: محمد المعتصم بالله

البغدادي . بيروت . دار الكتاب العربي . الطبعة الأولى. ١٤٠٧ - ١٩٨٦

المجوس إلا أنهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر وكان الذي ينتحله الصابئون لأقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على أهل الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه بما ذكرنا فبعث الله عز وجل إليهم إبراهيم خليله عليه السلام بدين الإسلام الذي نحن عليه الآن وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى الله بها محمد ﷺ من عند الله تعالى (^{٢٧} وكذا يرى كل من ابن تيمية وابن قيم الجوزية رحمهما الله - في أنهم من بعث إليهم إبراهيم - عليه السلام - فنقرأ للإمام ابن قيم الجوزية وصفاً للصابئة بأنهم: (أمة كبيرة من الأمم الكبار) وبين أن الاختلاف حولهم حقيقة وبين سبب ذلك (وقد اختلف الناس فيهم اختلافا كثيرا بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم، وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر، وهؤلاء هم قوم إبراهيم عليه السلام وأهل دعوته، وكانوا قسمين حنفاء ومشركون، وأصل دين هؤلاء - كما يزعمون - أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً ؛ ولهذا سمو صابئة : أي خارجين، فقد خرجوا عن تقيدهم بجملة كل دين وتفصيله إلا ما رأوا فيه من الحق، والمقصود أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم فالحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام في الحنيفية والمشركون منهم شاركوا عباد الأصنام ورأوا أنهم على صواب وأكثر هذه الأمة فلاسفة والفلاسفة يأخذون من كل دين - بزعمهم - محاسن ما دلت عليه العقول ، وعقلاؤهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم .) ثم ذكر خلاصة قوله بأن قال إنهم فرق: فصابئة حنفاء، وصابئة مشركون، وصابئة فلاسفة، وصابئة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقييد بملة أو نحلة)^{٢٨}، بينما فصل شيخه ابن تيمية - رحمه الله - ما سبق فهو: بداية يرى أن الصابئة في أصلهم مؤمنون موحدون فيقول : (ولهذا قيل إن أرسطو بدل طريقة الصابئة الذين كانوا قبله والذين

٢٧ / محمد بن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل ج/ ١. ص/ ٨٨ - ٨٩. تحقيق: د. محمد نصر، عبد الرحمن عميرة. مكتبة

عكاظ. الطبعة الأولى. ١٤٠٣ - ١٩٨٢

^{٢٨} / الإمام ابن قيم الجوزية. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان. ج/ ٢. ص/ ١٤٦ - ١٥٢. بيروت. دار المعرفة.

كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر الذين أثنى عليهم القرآن^{٢٩} وذكر عنهم عدة تعريفات فقال رحمه الله : إن الصابئة ينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول الصابئة الحنفاء : هم من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء ممن حمدهم الله وأثنى عليهم، وروي أيضاً بإسناد ثابت^{٣٠} أنهم : الذي يعرف الله وحده فهم قد يقولون لا إله إلا الله فقط وليس له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفراً، وقيل هم قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين وليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي، وهم ليسوا كفاراً فإن الله قد أثنى على بعضهم فهم مستمسكون بالإسلام المشترك وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه .

القسم الثاني الصابئة المشركون : وهم الذين يعبدون الملائكة والذين يسمونهم الروحانيات العلوية – كما يزعمون – ويزعمون أنهم يقرؤون الزبور^{٣١}.

ولكن المعنى الغريب للصابئة والذي يحتاج للرد ما ذكره صاحب " في ظلال القرآن " وهو : (الصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان قومهم عليه من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم عليه السلام، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون إنهم صباؤا أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد

^{٢٩} / شيخ الإسلام ابن تيمية . بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية . ص/ ٣٧٣ . تصحيح وتعليق . محمد عبد الرحمن قاسم . مكة . مطبعة الحكومة . الطبعة الأولى . ١٣٩١

^{٣٠} / هذا الإسناد رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه وقد وصف ابن تيمية وهب بن منبه الصنعاني التابعي _ رحمه الله جميعا – بأنه من أعلم من أعلم الناس بأخبار الأمم المتقدمة . انظر الرد على المنطقيين ج/ ٢ . ص/ ١٨٣ . تحقيق: د. رفيع العجم . بيروت . دار المصدر اللبناني . الطبعة الأولى . ١٩٩٣ .

^{٣١} / انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية . المرجع السابق . ص/ ١٨٢ – ١٨٤ . بتصرف وانظر هذه الأقوال المختلفة في كتب التفسير التالية : ، ابن الجوزي . تفسير زاد المسير في علم التفسير . ج/ ١ . ص/ ٩٢ . بيروت . المكتب الإسلامي . الطبعة الخامسة . ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، محمد القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ج/ ٢ . ص/ ١٦١ . تحقيق: د. عبد الله التركي . ، محمد رضوان عرقسوسي . بيروت . دار الرسالة . الطبعة الأولى . ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ ، محمد الشوكاني . فتح القدير الجامع بين دفتي الرواية والدراية من علم التفسير . ج/ ١ . ص/ ١٤٨ . علق عليه ووثق نصوصه: سعيد اللحام . مكة . المكتبة التجارية . ١٤١٣ .

ذلك، ومن ثم سمو الصابئة، وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير)^{٣٣} وقوله إنما هو نقل للمعنى اللغوي ويصادم ما نقله عنهم السابقون وهم أعلم بهم منه .

ويرى بعض الصابئة المعاصرين أنه (قد جاء منهم إبراهيم الخليل عليه السلام والملقب بأبي الأنبياء. ولدى الصابئة كثير من الأساطير عن إبراهيم الخليل وانتسابه إليهم لولا حدوث بعض العوارض الدينية له في حياته وهجرته من بابل إلى حران ، لم يكن إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ؛ لأنه ولد وبشر بالتوحيد قبل موسى بحوالي ألف سنة)^{٣٣}.

ولكن صلة الصابئة اليوم وهم من يسمون أنفسهم الصابئة المندائيين بإبراهيم - عليه السلام - محل نظر عند باحث عراقي معاصر، فقد توصل إلى أن اسم " بهرام الكبير " الذي يرددونه هو اسم لأحد الملائكة المقربين وليس اسماً لإبراهيم عليه السلام^{٣٤}، كما ثبت تنقصهم لإبراهيم عليه السلام وأنه نجس لقيامه بختان نفسه وهو بهذا قد خرج من ملتهم - كما يزعمون - وأبعد عن أعمال الكهانة^{٣٥}.

٣٢ / سيد قطب. في ظلال القرآن . ج/ ١ . ص/ ٧٥ جده. دار الشروق. الطبعة الثامنة. ١٣٩٩ - ١٩٧٩ .

٣٣ / غضبان الرومي . المرجع السابق. ص/ ٣٤ - ٣٥

٣٤ / انظر د. رشدي عليان. الصابئة. حرانيون ومندائيون. ص/ ٧٨ - ٨٠ . بغداد، وانظر: د. عقيد خالد، د. يحيى

أحمد. المرجع السابق . ص/ ٣٢ - ٣٣ .

٣٥ / عقيد خالد، د. يحيى أحمد. المرجع السابق. ص/ ٣٣.

المبحث الثاني:

مفهوم الاستشراق

في اللغة :

الاستشراق مأخوذ من كلمة الشرق، والشرق في اللغة هو: شرقت الشمس شروقاً وشرقاً: طلعت واسم الموضع المشرق ٣٦. وأضيفت إلى الكلمة الحروف الثلاثة "ا،س،ت" والتي تعني في قواعد اللغة العربية: طلب الشيء . فالاستشراق إذن هو طلب الشرق ٣٧ . وهناك من بحث في معاجم لغات عدة ووجد أن الشرق يعني النور وضده الظلام ويعني توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في المجال الفكري والروحي، أو بمعنى يتعلم أو يبحث عن شيء ما ويأتي بمعنى التوجيه والإرشاد ٣٨.

في الاصطلاح:

على الرغم من أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، وأرجع الغربيون ظهوره المبكر للحاجة الماسة لوجود متخصصين للقيام على إنشاء المجالات والجمعيات والأقسام العلمية^{٣٩}. ولكن يكاد يتفق الباحثون في علم الاستشراق على تعريفه وبدهي أن الباحثين من المسلمين عندما يعرفونه فإنما يكون بما يفصح عن خصوصيتهم ومن هذه التعريفات للاستشراق:

^{٣٨} / جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المرجع السابق ج/ ١٠ / ص/ ١٧٣ .

^{٣٧} / أ عقيلة حسين . المرجع السابق. ص/ ٣١ .

وانظر: مشاركة عن الاستشراق . بقلم حازم. منتدى التوحيد. منتديات الجامعة الإسلامية. قسم الحوار عن المذاهب الفكرية ٢٠٠٤. www.eltwhed.com.

٣٨ / انظر تفصيل ذلك: حول مفهوم: الشرق فلكياً وتاريخياً وجغرافياً وعرقياً وايدولوجياً : محمد البشير مغلي. مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب. ص/ ٣١ - ٣٥ . الرياض. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الطبعة الأولى. ١٤٢٢ - ٢٠٠٢

٣٩ / د. مازن مطبقاني. تعريف الاستشراق. مركز المدينة المنورة للدراسات الاستشراقية . بتصرف

www.madinacenter.com

١/ تذكر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب أن الاستشراق: [ORIENTALISMD] تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي تشمل حضارته وأديانه ولغاته وثقافته . ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصفة خاصة معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما^{٤٠}.

٢/ دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخا ونظما وثروات وإمكانيات بغرض السيطرة عليه غالبا^{٤١}.

٣/ تعريف مشرف موقع المدينة المنورة للدراسات الاستشراقية: هو كل ما يصدر عن الغربيين وأمريكيين من إنتاج فكري وإعلامي وتقارير سياسية واستخباراتية حول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن، ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط ومارونيين وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ويلحق به أيضاً ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتبنوا كثيراً من أفكار المستشرقين^{٤٢}.

ومن خلال هذا المفهوم نجد الاستشراق يتميز بأبعاد ثلاثة:

البعد الأكاديمي: من حيث ان المستشرقين يقومون في دراساتهم على مناهج خاصة تتبع لجامعاتهم ومعاهدهم .

البعد العرقي: إذ يعتبر الاستشراق أسلوبا للتفكير يعتمد على التمييز العقلي والثقافي والتاريخي والعرقي بين الشرق والغرب .

^{٤٠} / الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة م.٢٠٠٢. ص. ٦٩٧. الرياض .

^{٤١} / انظر أحمد غراب . رؤية إسلامية للاستشراق . ص. ٥ - ٦ . لندن . المنتدى الإسلامي .

^{٤٢} / د.مازن مطبقاني. المرجع السابق.

البعد الاستعماري: إذ يمثل الطريق الحقيقي لمعرفة الشرق بغية احتلاله وإعادة توجيهه والتحكم فيه^{٤٣}.

وهذا المصطلح المتداول أصر المستشرقين على ضرورة التخلي عنه: لأن كلمة مستشرق. على حد تعبيرهم. أصبحت منذ الآن. ١٩٧٣- فصاعدا ملوثة وليس هناك أمل في الخلاص تقول المستشركة البر فسورة نادية أنجيليسكو^{٤٤}: [بدأنا نخشى من مصطلح الاستشراق بالمعنى الذي أصبح منتشرًا في السنين الأخيرة ونبحث عن بديل يدفعنا إلى ذلك التخصص الدقيق الذي أصبح ضرورياً في مجال العلوم الإنسانية] وترى أن مهنة الاستشراق هي مهنة المخاطرة: لأن هذا المترجم يجب أن يقاوم صدمة الثقافات التي تحدث في شخصيته. وتؤكد نظريتها السابقة لما تعتقد أن تسمية المشتغلين بالعلوم الإسلامية من الغربيين بالمستشرقين تسمية مشؤومة لذا فمن خلال تجربتها ترى أن المصطلح البديل والمناسب هو [المستعرب]^{٤٥}.

وأنا لا أوافقها القول؛ لأن المستشرق المهتم بالحضارة الإسلامية والتي كُتبت وحُفظت باللغة العربية لا تعني اقتصار أبحاثه على العرب فقط سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين بل كل دراساتهم في الوقت السابق والحاضر، منصرفه فقط على الإسلام وأتباعه، وباعترافها هي في كتابتها بأن انحسار الخطر العثماني. كما تزعم. مهد لانفتاح المستشرق، ومما يعضد اعتراضه عليها ما ذكره صاحب كتاب {الاستشراق بين الموضوعية والانفعال} ولكن بما يفصح عن حقيقة الاستشراق فقد قال [إن لفظه مستشرق تثير في نفوسنا أحاسيس شتى بيد أنها لا تخلو من الشك والارتياب، وهذا الشك الارتياب ليسا من صنعنا ولا من طبيعتنا بل إنهما من صنع بعض المستشرقين المسرفين، الذين لم يتجردوا عن يهوديتهم أو نصرانيتهم أو عرقيتهم

٤٣ / انظر: ناجي شنوف. الاستشراق وحوار الحضارات. مجلة حوليات التراث. العدد/٨- ٢٠٠٨. جامعة المدينة.

moodle.univ-mosta.dz

٤٤ / نادية أنجيليسكو: أستاذة ورئيسة قسم اللغات الشرقية بجامعة بو خارست برومانيا، مديرة مركز الدراسات العربية التابع لجامعة بو خارست وأستاذة فزائرة في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية بروما وأستاذة زائرة في كولينج دي فرانس بباريس. لها ستة كتب وحوالي خمسين دراسة منشورة في مجلات رومانية وأوروبية وعربية.

٤٥ / نادية أنجيليسكو. الاستشراق والحوار الحضاري. ص. ٣٢- ٣٣. ١٥٥٠. المشاركة. دائرة الثقافة والإعلام. الطبعة الأولى عام:

حين كتبوا عن العرب أو عن الإسلام. وضرر هؤلاء لم يهدم للإسلام تراثا ولا للمسلم دينا قدر ما كان في كتاباتهم من ضرر على أبناء جلدتهم من تشويه للحق، ومجانبة للبحث العلمي الصرف الذي يفرض على المدارس أمانة الضمير وتثبت الخبر، فرددوا ما قاله أسلافهم المدفوعون بعصبيتهم الحمقاء دون بحث أو تمحيص، فتخلوا عن صفة العالم الثبت، وهم بذلك قد رسخوا الصور والمفاهيم المشوهة والمقصودة في عقول وأذهان رجال اللاهوت؛ حين اعتمدوا على كتابات مستشركي عصرهم، فاتسعت بجهودهم هوة التشويه التي نراها حتى اليوم سائدة في وسائل الإعلام الأوربية، وبدلاً من رؤية الواقع دون موارد يحاول الغرب زعزعة الثقة في الإسلام بإبراز وجهات النظر التي لا تتعلق بروح الإسلام أو تعاليمه^{٤٦}.

(إن مفهوم الاستشراق نفسه بدأ يخفت وطفق بعض المشتغلين بالشرق يفضلون أي إطلاق عدا إطلاق المستشرق، مثل: عالم الإسلاميات، أو المستعرب، أو الخبير في شؤون الشرق الأوسط، وكان لهذا أثره على المعلومة عن الإسلام والمسلمين)^{٤٧}.

لذا نتساءل هل حان الوقت لإلغاء كلمة الاستشراق كما ورد في مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق في مقالة : "إلغاء مصطلح الاستشراق" فجاء فيه :
يجب أن نتوقف عند القرار الغربي بالتوقف عن استخدام مصطلح استشراق أو كما قال أحد مستشرقهم^{٤٨} إن هذا المصطلح قد ألقى به في مزايل التاريخ، فقد رأى الغرب أن هذا المصطلح ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية، وأن هذا المصطلح لم يعد يفي بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الإسلامي، فكان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية في مؤتمرها الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ : بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا (ICHSANA)، وعقدت المنظمة مؤتمريين تحت هذا العنوان إلى أن

^{٤٦} / د. قاسم السامرائي .. الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية . ص. ١١٧ الرياض. دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع .

الطبعة الأولى . عام : ١٤٠٣ - ١٩٨٣

^{٤٧} / د. علي النملة . ظاهرة الاستشراق مناقشات في المفهوم والارتباطات . ص/ ١٨٣ . الرياض . مكتبة التوبة . الطبعة

الثانية ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ .

^{٤٨} / المستشرق : لويس

تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ICANAS). وقد عارض هذا القرار دول الكتلة الشرقية (روسيا والدول التي كانت تدور في فلكها، ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودابست بالجر كان مصطلح استشرق ومشرقين يستخدم دون أي تحفظات، مما يعني أن الأوروبيين الغربيين والأمريكيين هم الأكثر اعتراضاً على هذا المصطلح، ولعل هذا ليفيد المغايرة بحيث يتحدثون عن المشرقين ليثبتوا أنهم غير ذلك بل هم مستعربون Arabists أو إسلاميون Islamists أو باحثون في العلوم الإنسانية Humanists أو متخصصون في الدراسات الإقليمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي تختص ببلد معين أو منطقة جغرافية معينة، أما موقفنا نحن من هذا التخصص أو التخصصات فإنه يسعنا ما وسع الغربيين، فإن هم اختاروا أن يتركوا التسمية فلا بأس من ذلك شريطة أن لا نغفل عن استمرار اهتمامهم بدراستنا والكتابة حول قضاياها وعقد المؤتمرات والندوات ونشر الكتب والدوريات حول العالم الإسلامي واستمرار أهداف الاستشراق، وأن لا يصرفنا تغيير الاسم عن الوعي والانتباه لما يكتبونه وينشرونه).^{٤٩}

ولكن تغيير لفظ الاستشراق يعطي لمتلقي إنتاج المشرقين القبول إذ ستحمل سمات الباحثين في العلوم الإنسانية والمهتمين بالعلوم الإقليمية والمختصين في العلوم الإسلامية، وهذا يعني كسر حاجز الحذر وضرورة الاهتمام بتنقيح دراساتهم وهنا الطامة الكبرى إذ سيصلون إلى مبتغاهم الأزلي .

ونخلص مما سبق إلى أن (المشرقين هم الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية. والمشرق أيضاً هو كل من يقوم بتدريس الشرق أو دراسته أو الكتابة عنه أو بحثه في جوانبه المحددة والعامّة، سواء أكان ذلك الذي يقوم بالدرس أو الكتابة أو البحث مختصاً بعلم الإنسان (أنثروبولوجي) أو بمختلف أنواع العلوم أو مؤرخاً أو فقيه لغة (فيلولوجي)، وما يفعله المشرق في هذا المجال هو استشراق. وإن مصطلح الاستشراق بالمقارنة مع مصطلح الدراسات الشرقي أو الدراسات

الإقليمية، أقل تفضيلاً اليوم لدى المختصين لكونه يتضمن الموقف التنفيذي السلطوي للاحتلال الأوروبي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. بيد أن الكتب تُكتب، والمؤتمرات تُعقد، ومحورها الرئيسي هو "الشرق"، والسلطة التي يُرجع إليها هي سلطة "المستشرق" في قناعه القديم أو قناعه الجديد. وإذا اتخذنا من أواخر القرن الثامن عشر نقطة للانطلاق محددة تحديداً تقريبياً، فإن الاستشراق يمكن أن يناقش ويحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، وذلك بإصدار تقارير حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، ووصفه، وتدريبه، والاستقرار فيه وحكمه. وباختصار، إن "الاستشراق" هو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة صياغته والتحكم فيه، وعلاوة على ذلك فقد احتل الشرق مركزاً من القوة والسيادة، بحيث لم يعد بإمكان أي إنسان أن يكتب عن الشرق أو يفكر فيه أو يمارس فعلاً متعلقاً به، دون أن يأخذ بعين الاعتبار الحدود المعوقة التي فرضها الاستشراق على فكره وعمله. وبعبارة أخرى فإن الشرق، وبسبب الاستشراق، لم يكن موضوعاً حراً للفكر أو العمل. ولا يعني هذا أن الاستشراق وحده يقرر ويحتم ما يمكن أن يقال عن الشرق، بل إنه يشكل شبكة المصالح الكلية التي يُستحضر تأثيرها في كل مناسبة يكون فيها ذلك الكيان العجيب "الشرق" موضوع النقاش^{٥٠}.

٥٠ / د. زيد عباس كريم .مقالة أيديولوجيا الاستشراق. موقع الحضارية معهد الأبحاث والتنمية الحضارية«دراسات

شرقية غربية الاثنين: ٢٠٠٧/١٠/٠١ بتصرف . www.alhadhariya.net

المبحث الثالث

أهداف المستشرقين

تظل للمستشرقين أهدافهم بعيدة المدى والتي يعملون ليل نهار من أجلها داخل كل دولة خاصة الدول التي تمثل لهم مخزوناً مادياً يرفد دولهم بكل ما تحتاجه من قوة دنيوية لبقائها زعيمة متسلطة قاهرة لغيرها وهذا ما نراه بوضوح في كل التأريخ ماضيه وحاضره بل ومستقبله.

(إن الاستشراق حركة سياسية عامة فلم يكن من المنتظر أن يكثر المستشرقون بدافع شخصي بحت. إذ الاستشراق عمل صعب ثم هو مع ذلك قليل الريح المادي؛ من أجل ذلك كان المستشرقون عادة من أولئك الذين تستخدمهم الدول والجمعيات والمؤسسات وتضمن لهم أسباب معاشهم. ولا يستغرين أحد إذا علم أن الاهتمام بالاستشراق كان في الدول القوية مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة أكثر منه في الدول الصغيرة أو القليلة النفوذ في السياسة الدولية .

وجميع موضوعات الاستشراق وجهود المستشرقين كان يقصد بها في الدرجة الأولى خدمة الاحتلال^{٥١} وتسهيل عمله في البلاد التي ينزل فيها؛ ذلك أن فهم لغة قوم وفهم ثقافتهم يساعدان على تذليل العقبات في وجه المحتل)^{٥٢} لذا تصدق عبارة: (إن موضوعية المستشرقين أمر خادع)^{٥٣}

وإن كان المستشرقون قد اتجهوا في بداياتهم للمسلمين فقط دينا ولغة وعلومًا فقد اهتموا أيضاً في (مؤتمرهم المنعقد عام ١٩٨٦ م بالدراسات الآسيوية والأفريقية شاملة دراسات الفن والآثار القديمة والدراسات البوذية والدراسات الإيرانية والدراسات السامية والشرق الأدنى القديم)^{٥٤} .

^{٥١} / المؤلف كتب كلمة "الاستعمار" فأبدلتها بالاحتلال لأن العدو لا يعمر بل يحتل .

^{٥٢} / د. عمر فروخ. الاستشراق ما له وما عليه. مجلة المنهل. العدد السنوي المتخصص: الاستشراق والمستشرقون. ١٣٥٥ هـ ص /

١٦

^{٥٣} / أصف حسين . المسار الفكري للاستشراق ٥٨٦ . ترجمة وتقديم: د. مازن مطبقاني . مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . العدد السابع . ربيع الثاني ١٤١٢ .

^{٥٤} / انظر: د. عبد الأمير الأعمش. الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر . سلسلة كتب الثقافة المقارنة . الاستشراق .

العدد الأول ١٩٨٧ ص/ ٢٣ . بغداد . دار الشؤون الثقافية العامة .

ف نجد من المستشرقين :

(١) موظفون رسميون في دوائر الاحتلال يقدمون خدمات لحكوماتهم على نحو يخدم الأغراض المتحققة للمحتل وهؤلاء مارسوا الوسائل الاحتلالية مباشرة في كل اتجاه ومثالهم الحيوي لورنس في شبه الجزيرة العربية وماسينيون في سوريا ومس بل في العراق وما فعله فيلبي وكلوب وكلاهما لقب بالباشا وخطورة هذا النوع تأتي من كونهم لعبوا في مقادير السياسة.

(٢) مستشرقون غير موظفين في دوائر استعمارية مباشرة ولكنهم قدموا ما لديهم من معلومات في خدمة الاحتلال وهؤلاء كانوا في الظاهر أكاديميين وهم كثيرون جدا وأعمالهم تشجيع الدراسات الطائفية وبلورة القوميات المندثرة وعمل معاجم للغات الميتة وإثارة الشعور لدى طوائف من الناس أنستهم عوامل الزمن أصولهم فأنحلوا في أمم أخرى. وبلغ الغلو في هذا النوع أن منهم من تبنى طرقا صوفية أو مذهبية أو دينية أو عنصرية أو عشائرية .

ووصل الأمر بالاستشراق إلى بيان فضل أقوام على أقوام وأديان على أديان واتجاهات على اتجاهات) ^{٥٥}.

(إن التبشير ^{٥٦} والاستشراق سواء في موقفهم العدائي من الإسلام والفرق بينهما هو: أن الاستشراق أخذ صورة "البحث" وأدعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة وهي العقلية الشعبية .

استخدم الاستشراق : الكتاب والمقال في المجالات العلمية وكسري التدريس في الجامعات والمناقشة في المؤتمرات العلمية والعامة. بينما التبشير اقتصر على دور التعليم والإغاثة عبر المستشفيات والملاجئ .

إن الاستشراق لون من ألوان التبشير لآدم نفسه مع ظروف الحياة فيرى المستشرق الألماني "بيكر" أن هناك عدا من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في

^{٥٥} / المرجع السابق، انظر من ص/ ٢٠ - ٢١ .

^{٥٦} / اسمه الحقيقي التنصير وليس التبشير لكنه يعلن بهذا المسمى لتحبيب النفوس له.

العصور الوسطى أقام سدا منيعا في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لوصولجانها)^{٥٧}.

ومما سبق نصل إلى أن المستشرقين هم وسيلة حية متحركة لضرب الإسلام والمسلمين وتمزيق دولهم واتحادهم عبر منافذ شتى من ضمنها استغلال الطوائف الدينية والعرقيات المتعددة في الدول الإسلامية لضرب عمق وحدة الدول الإسلامية وتمزيقها دويلات متنافرة متحاربة وتسليم أجزاء منها للنصارى كما هو مشاهد في وقتنا المعاصر ؛ لذا نجد المستشرقين الباحثين في ديانة الصابئة يمثلون جيشا نظاميا يمهّد للاحتلال المباشر العسكري ثم الاحتلال الثقالي والعقلي فيما بعد والعراق دولة لها موقعها الاستراتيجي في الخليج وتجاور دولة إيران وتضم عرقيات وأديان مختلفة عاشت فترة الخلافة الإسلامية المتعددة في نعيم عدل الإسلام فلما دخلها المحتلون وقسموها قطعا متناثرة سعا إلى بعث النعرات والاختلافات الدينية والقبلية وهذا ما حدث من علاقة المستشرقين بالصابئة المندائيين في العراق كمثال على ذلك والافهم في كل مكان احتلوه فعلوا ذات التمزيق تأسيسا لقاعدة "فرق تسد" وهنا نجد أن لديهم جلدا في الوصول لمبتغاهم حتى أنهم يتواصلون فيما بينهم على ذلك (أتواصوا به بل هم قوم طاغون) .

فيكون من أهداف المستشرقين:

(١) الهدف الديني بالدرجة الأولى لتغيير العقائد إلى دينهم وتغيير الخريطة السكانية للدول المحتلة فكان الاستشراق البوابة العلمية للتنصير عن طريق إعداد رجال التنصير بمعرفة مسبقة بثقافة وعقائد الدول المحتلة بواسطة كتابات المستشرقين. وهذا ملاحظ بين الصابئة إذا صرح المستشرق نيقولا سيوي في أن كتابه عن الصابئة تم عبر جلوسه مع شاب من الصابئة قد تنصر وأحضر له المنصر النصراني إليه مباشرة^{٥٨}. كما ذكر تنصر بعض الصابئة في كتب الصابئة أنفسهم منذ قدوم فلول المحتلين الأوائل.

^{٥٧} / د. محمد الهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص/ ٤١٨ - ٤٢٦ بتصرف، القاهرة، مكتبة وهبة .

الطبعة التاسعة ١٤٠١ - ١٩٨١ .

^{٥٨} / نيقولا سيوي، الصابئة، عقائدهم وتقاليدهم، ص/ ١٥ - ١٨، دمشق، دار التكوين، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ .

a. وكذلك المستشرقون اليهود على وجه الخصوص (فهناك ملاحظة خاصة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة: فالظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وهي محاولة إضعاف الإسلام)^{٥٩} وهذا لاحظناه من يهودية بعض المستشرقين المهتمين بشأن الصابئة مثل الليدي دراور وغيرها كما سيظهر أثناء البحث.

(٢) الدعم المعرفي للاحتلال من أجل تمزيق وحدة الدول المحتلة إلى دويلات عرقية ودينية. لأن من دعواتهم التي يدعو إليها على سبيل المثال: (إحياء الفرعونية في مصر والآشورية في العراق والبربرية في شمال إفريقيا والفينيقية في فلسطين ولبنان)^{٦٠}.

(٣) اختيار عيون للدولة المسيطرة وذلك كما حدث من طلب المستشركة دراور للصابئة المندائيين أن يتعاونوا مع بريطانيا ضد دولة العراق^{٦١}.

(٤) إمداد مكاتب بلادهم بثروة علمية جديدة تمثل بابا لاقتصادها عبر البيع وزيارة المكاتب والإطلاع على ما فيها بمقابل مادي.

(٥) المقارنة بين كتب الصابئة المندائيين وإنجيل يوحنا لأن يحيى عليه السلام مقدس عندهم وعند النصارى.

(٦) تشكيك الصابئة المندائيين في دينهم بإثارة الحديث عن ارتباط عقائدهم بالأديان الأخرى وحدائهم كتبهم المقدسة وغير ذلك فإن من المستشرقين الباحثين في دين الصابئة من يرى أن كتاب يحيى عليه السلام المقدس لديهم حديث عهد فقد كتب بعد الإسلام (إن قصص الصابئة المتعلقة بيحيى المعمدان كزعيم لهذا الدين، جمعت في كتاب يحمل عنوان "دراشي يحيى" والتي تعني دراسات يحيى، بيد أن هذا الكتاب حديث تماماً وقد تم جمعه بعد الإسلام، بالإضافة إلى ذلك فإن اسم

^{٥٩} د. محمد البهي، المرجع السابق، ص/ ٤٣١

^{٦٠} المرجع السابق، ص/ ٤١٨

^{٦١} انظر بحثي: دور المستشركة دراور في ديانة الصابئة المندائيين وانظر، غضبان رومي، مذكرات مندائية، ص/ ٦٢، ٦٣.

دمشق، دار المدى

يحيى بالأرامية هو يوحنا، أي أن الاسم الأول كلمة معربة، وهذه شهادة على حداثة هذه الدراسات)^{٦٢}.

(٧) التأثير على الصابئة المندائيين المعاصرين بيان عجزهم عن العلم بدينهم إلا من خلال ما ترجمه المستشرقون من تراثهم ويظهر ذلك على أبناء الطائفة لما يقول أحدهم بمرارة: (والبحث في المسألة المندائية يتطلب معرفة وافية باللغة المندائية) وكان المؤلف يحس بمرارة أنه (وهو المندائي يتناول الأدب المندائي لطائفته من خلال ما ترجم إلى اللغات الأخرى)^{٦٣}.

(٨) ربط دينهم بالديانة النصرانية وأنها جمعت في معتقداتها مع ما جمعته معتقدات نصرانية الأصل وفهما مشوشا للعهدين القديم والجديد)^{٦٤}.

(٩) ربط دينهم بكل دين وثني وإن كان هذا حق لا مرية فيه إلا أن حرص المستشرقين على التذكير الدائم بذلك وهم دينهم النصراني أو اليهودي محرف ومبني على أديان شركية متعددة يستدعي التوقف والقول بأن فعلهم هذا غايته تزهيد الصابئة في دينهم وأنه غير أصيل ولا متجذر في الأديان السماوية التي يزعمون اتصال أديانهم المحرفة بها فعلى سبيل المثال يذكر أحد الصابئة المعاصرين أن أحد المستشرقين يصر على أن الصابئة أخذوا دينهم عن البابليين)^{٦٥}

(١٠) ومن يقرأ كتاب المستشركة دراور سيرى ربطها الدائم لدينهم بكثير من الأديان.

^{٦٢} / محمد نمر المدني . المرجع السابق، ص/ ١٨٧ والمستشرق هو الدكتور ماتسوخ

^{٦٣} / عزيز سباهي أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، ص/ ١١، دمشق، دار المدى

^{٦٤} / عزيز سباهي، المرجع السابق، ص/ ٢٠٠

^{٦٥} / عزيز سباهي، المرجع السابق، ص/ ٧٦، ويقصد المستشرق بالس

المبحث الرابع

تأريخ الاستشراق في ديانة الصابئة المندائيين

ارتباط المستشرقين بالتنصير ومعاونة المحال على الاحتلال للدول التي يدرسونها واضح وجلي وهم يختلفون في بداية هذا التأريخ:

فيرى بعض الصابئة أن الغربيين بدأت أبحاثهم عن الصابئة (بابتداء الرحالة "بالجواس" خلال أقطار الشرق الأوسط ومابين النهريين منذ القرن السابع عشر الميلادي وكثر الحديث عنهم في القرن الأخير فألفت فيهم الكتب ونشرت مقالات وأبحاث قام بها شرقيون وغربيون)^{٦٦}.

بينما يرى آخرون أن ظهور المستشرقين بين الصابئة كان عن طريق: (تعرف الغرب على الصابئة من خلال المبشرين الذين قدموا إلى البصرة في القرن السادس عشر وكان المبشرون البرتغاليون هم أول من التقى بهم، ووضعوا عنهم تقريراً بالبرتغالية وفي هذا التقرير يشار إليهم كطائفة مسيحية لكنها غير تامة المسيحية وألح التقرير إلى أن القديس يوحنا قد بشرها. وفي هذا خلط واضح بين القديس يوحنا ويوحنا المعمدان الذي يمجده الصابئة كأحد قديسيهم لكن رسالة تالية من "غوا"^{٦٧} المستعمرة البرتغالية في الهند صححت ها الخلط، وجاء فيها أن "هناك عدداً كبيراً من المسيحيين الذين يتبعون يوحنا المعمدان، ثم تلتها رسالة أخرى في عام ١٦١٥م مشيرة لهم كطائفة مستقلة، وفي عام ١٦٢٢م أشار الرحالة الإيطالي "di luglio" إلى أن الطائفة تعرف بالمنادي أو المعمدان وبالمندائية. وقد ظل الخلط في التسميات والأوصاف قائماً حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكان

^{٦٦} / الصابئة المندائيون. الليدي دراور/ص ٣ - ٤ مقدمة المترجمين

^{٦٧} / غوا هي إحدى أصغر ولايات الهند من حيث المساحة والرابعة عشر من حيث عدد السكان. تقع في غرب الهند في إقليم كونكان، من الشمال تحدها ماهاراشترا، وكارناتاكا في الشرق والجنوب، وتطل على بحر العرب في الغرب. غوا هي أغنى ولايات الهند، إذ يقدر ناتجها المحلي الإجمالي للفرد مرتين ونصف مثيله للهند كلها. موسوعة ويكيبيديا.

<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%BA%D9%88%D8%A7>

الباحثون يخلطون بينهم وبين السبائيين في اليمن للتقارب بين اسمي الصابئين والسبائيين حين يكتبون بالحروف اللاتينية، وأثارت التسميات العامية لهم: الصُّبَّة والصَّبَّة والصابئة والداي والمندائي والمنداي بعض الارتباك في دوائر البحث، كذلك جرى خلط كثير بشأن التسمية الدينية التي ترد في كتبهم. "الناصرات، والناصرثيين"، وأرجعهم البعض إلى مدينة الناصرة، وخلط بعضهم بين هؤلاء والنصيريين وهم فرقة من غلاة الشيعة، رغم أن الناصورات في المندائية تعني شيئاً آخر هو الكاهن الذي يمتلك المعرفة بالدين والضليع بمعارفه الدينية.

ومنذ ذلك الحين تزايدت الإشارات إلى الصابئة، ومع تزايدها بدأ الباحثون يولون دراسة معتقدات هذه الطائفة اهتماماً أكبر. ففي القرن السابع عشر وصل إلى أوروبا ٥٢ تقريراً عنهم، وفي العام التالي ارتفع عددها إلى ٧٤ تقريراً؛ وحضرت الأخطاء التي وقع فيها الرحالة بشأنهم الباحثين على ترجمة كتبهم، ففي عام ١٦٦٠ نشر الماروني "أيجيلينس"^{٦٨} "مقتسبات من بعض كتبهم ترجمها بمساعدة صابئي كان قد اعتنق المسيحية وسكن روما، ثم تتابعت التراجم. إلا أن هذه كانت تعوزها الدقة، وكانت أبرزها ترجمة الباحث السويدي "ماتياس نوربوري" للكنزاً ربا^{٦٩} الكتاب الرئيس للطائفة عام ١٨١٦ م. ومع ذلك فالعمل لم يخل من الأخطاء، وفي عام ١٨٦٧ نشر "بيتر مان" ترجمة جديدة للكنزاً إلا أنها أعادت أخطاء "نوربوري"، وقلاه "أيتنغ"^{٧٠} بترجمته للقلاستا^{٧١}، وفي عام ١٨٧٥ م نشر عالم اللغات السامية الألماني "نولدكه" كتاباً بقواعد

^{٦٨} / بحثت عن تعريف له فلم أجد في محيط بحثي.

^{٦٩} / الكنز رباً : أي الكنز العظيم. ويسمى أيضاً سدره رباً أي الكتاب العظيم الكتاب المقدس الأول للصابئة المندائيين وهو عندهم صحف آدم عليه السلام ويتكون من قسمين : الأول: يحتوي على فقرات كثيرة موضوعها: نظام تكوين العالم ، وحساب الخليقة، والتطورات البشرية، وصفات الخالق، ووعظ وإرشاد وأدعية وحكايات. والثاني: يعالج شؤون الميت. انظر: د.

محمد رشدي عليان. المرجع السابق. ص/ ١٢٣

^{٧٠} / بحثت عن تعريف له فلم أجد في محيط بحثي.

^{٧١} / القلاستا: أي كتاب عقد الزواج ويحتوي على رسوم عقد الزواج وشعائره والاحتفالات التي تقام أثناء عقده ، وكيفية

إجراء الخطبة وغير ذلك. انظر: المرجع السابق. ص/ ١٢٤

اللغة المندائية، وجاءت الخطوة الحاسمة في إرساء الأسس العلمية الرصينة في دراسة المندائية على يد "ولهم براندت"^{٧٢} في مؤلفه "الدين المندائي" ١٨٨٩، و"ليدبازسكي" في ترجمة وإعداد طبعات نقدية لأهم الكتب المندائية "دراشه يهيا"^{٧٣} ١٩٠٥، والكنزاريًا ١٩٢٥، وكتاب الطقوس الدينية ١٩٢٥.

وكانت ألمانيا قد شهدت في القرن التاسع عشر نشاطاً فلسفياً واسعاً، واتجهت الأنظار نحو الغنوصية وما تركته من آثار على المسيحية الأولى على أساس ما وصفت به لا على أيدي آباء الكنيسة وإنما على أساس الشواهد التاريخية، في هذه اللحظة يأتي نشر الأدب المندائي بترجماتة الجديدة المدققة وتجذب الانتباه بوجه خاص التماثلات بين هذا الأدب ومقدمة إنجيل يوحنا فتحفز هذا البحث في العلاقة ما بين الاثنين، وتولى هنا عدد من كبار أساتذة وباحثي اللاهوت الألمان، فأنتهيا إلى أن إنجيل يوحنا قد تأثر بالأدب المندائي وذهب "بليتمان"^{٧٤} وهو يقارن مقدمة الإنجيل بالتراتيل المندائية من حيث المعاني والمصطلحات والأساليب الشعرية إلى أن واضع الإنجيل ربما كان من المندائيين وتحول إلى المسيحية، ولقيت وجهة النظر هذه تأييداً واسعاً لدى الباحثين في تأريخ المسيحية وأساتذة اللاهوت في الغرب، كما لقيت بالمقابل ردوداً واسعة أيضاً.

في هذه الفترة بالذات كسب البحث في شئون الصابئة ومعتقداتهم الدينية عنصراً فعالاً متمثلاً بالسيدة دراور^{٧٥} التي انصرفت بكليتها لدراسة المندائية التي عاشت في العراق، وأتقنت المندائية إلى جانب اللغة العربية والسريانية... ونشرت كتابها الأول

^{٧٢} / بحثت عن سيرة له فلم أجد في محيط بحثي.

^{٧٣} / دراشا يهيا: أي كتاب يحيى وتعاليمه. ومن موضوعاته: ميلاد يحيى ونشأته وتربيته الدينية وتعميده للمسيح ووفاته

انظر د. رشدي عليان. المرجع السابق. ص/ ١٢٤ - ١٢٥.

^{٧٤} / بحثت عن سيرة له فلم أجد في محيط بحثي.

^{٧٥} / دراور أفردت لها بحثاً خاصاً.

"المندائيون في العراق وايران" عام ١٩٣٧ ووضعت بالتعاون مع رودلف ماتسوخ قاموس اللغة المندائية عام ١٩٦٣ .

واختلف المستشرقون في أصول الصابئة المندائيين وبمن تأثروا إلى قسمين:

- أنهم من سكان ما بين النهرين وتأثروا بالمعتقدات الدينية الفارسية وباليهودية
- أن منشأهم كان بين طوائف البحر الميت أو في شرقي الأردن ممن كان يمارس التعميد هناك.

غير أن من يقرأ الكتب والرسائل التي دارت حولها هذا الجدل يلمس مدى التعقد والتشوش الذي سببه المؤرخون القدامى الذين عالجوا الأمر ووفق طرائقهم ومناهجهم التي أمحنا إليها وتركوا المسألة في جوانبها المختلفة عبئاً ثقيلاً للباحثين في العصر الحديث^{٧٦} و (تأريخ المندائيين مشوش جدا وزاد في ذلك ، النظريات المتضاربة عن أصلهم والتي أطلقها المستشرقون)^{٧٧}.

^{٧٦} / انظر:عزيز سباهي. المرجع السابق ص/ ٣٣ - ٣٨

^{٧٧} / صبحي مال الله . المندائيون من هم و إلى أين ؟ <http://mandaeen.dk/node/22> موقع الجمعية الخيرية المندائية في الدنمارك.

المبحث الخامس

موقف الصابئة المندائيين من أعمال المستشرقين

إن الأمر الملفت للنظر اختلاف الصابئة أنفسهم نحو أعمال وآثار المستشرقين في ديانتهم بين من يقبلها وبين رافض لها وبين حذر منها:

فنجد أن بعضاً من الصابئة المعاصرين يذكرون أعمال المستشرقين المنشورة عن دينهم بعبارات الثناء فنقرأ (نحن نغير لهذا الأمر أهمية خاصة أن البحث في المسألة المندائية دخل على أيدي المستشرقين ميدانا جديداً في البحث يتسم في الغالب بالجدية والدأب المتصلين)^{٧٨}

كما نجد من الصابئة المعاصرين من يرى أن القراءة في أعمال المستشرقين توجب الحذر والتمحيص: (وكنا نحن أبناء هذه الطائفة نقرأ ما يكتب عنهم ونتابع ما يتوصل إليه الباحثون في شأنهم ونقارن بينه وبين معتقداتهم فنقر البعض وننكر البعض الآخر)^{٧٩}.

بينما يعترف صابئي معاصر بأن المستشرقين اختلفوا حولهم (ولو تتبعنا أعمال المستشرقين في ديانة الصابئة المندائية لوجدنا أن المستشرقين اختلفوا كثيراً في نسبة الصابئة وفي المكان الأول لتواجدهم وفي عقد مقارنات كثيرة بين دينهم وأديان أخرى مجاورة لهم كالسمورية والبابلية والمانوية والمجوسية فضلاً عن اليهودية والنصرانية، كما انقسم المستشرقون حول أصل الصابئة المندائية إلى قسمين: منهم من يقول إنهم من سكان مابين النهرين وتكونت ديانتهم نتيجة التفاعل والتأثر بالديانات البابلية والفارسية واليهودية والمسيحية مستندين في ذلك إلى وجودهم في جنوب مابين النهرين منذ زمن بعيد. ومن المستشرقين من يرى بأنهم من سكان فلسطين أصلاً وأنهم

^{٧٨} / عزيز سباهي. المرجع السابق. ص / ٣٣.

^{٧٩} / المليدي دراوير. المرجع السابق. ص / ٤ مقدمة المترجمين

طوروا معتقداتهم الدينية في البيئة اليهودية وتحديدا في بيئة الطوائف الدينية التي عاشت في الضفة الغربية للبحر الميت)^{٨١}.

وهناك من يرى من الصابئة أن المتعرضين لترجمة كتبهم مغامرون لعدم تمتعهم بمتطلبات الترجمة لتراثهم الموعول في القدم والجامع للكثير من اللغات والحضارات مع دعوة إلى مبادرة الصابئة المندائيين أنفسهم للترجمة: (إن ترجمة كتاب ديني مهم مثل كتاب گنزاريا المقدس لدى الصابئة المندائيين وبقية الكتب المقدسة في المستقبل يستدعي استثمار الدراسات والنظريات الحديثة في الترجمة والاستفادة من التراث المندائي وأن يكون المترجم على وعي تام بمقتضيات المجال التداولي للمتلقى المندائي كما هو الحال بالنسبة للأكاديمي والباحث والمهتم بالأدب والإرث المندائي سواء كان هذا المتلقى مندائيا أو أجنبيا؛ لأن التصادم الذي قد تحدثه الترجمة في نقل المفاهيم والمصطلحات يؤدي إلى تشويه النصوص أو أدها في مهدها أو إعطاء صورة مغايرة تماما لما تعنيه هذه النصوص نتيجة لتباين المعاني تبعا لمفهوم النص وزمانه ومكانه، خاصة أن المخطوطات المندائية تمتد إلى حوالي الألفي عام في ذاكرة التاريخ، وينبغي على المترجم أن يكون يقظاً لخصوصية النصوص التي يترجم عنها وتبيان أي لبس في المعاني مستخدما التنبيهات المستمرة للقارئ في حواشي ومتمن النسخة المترجمة.

وعلى العموم تبقى ترجمة هذه الكتب مغامرة على من ينوي خوضها أن يكون ملما إماما شديدا باللغة العربية وباللغة المندائية واللغات التي كانت سائدة في وادي الرافدين مثل الآرامية، التي هي مفتاح مهم لكل من يحاول الترجمة عن المندائية، والأكدية والبابلية والفارسية والعبرية والنبطية واليونانية لوجود مفردات كثيرة منها في النصوص المندائية وأن يكون ملما باللغات السريانية والكلدانية والآشورية لاشتراكها مع المندائية في الكثير من المفردات والقواعد، ناهيك عن إتقانه اللغتين الألمانية والإنجليزية اللتين ترجمت إليهما أغلب النصوص المندائية التي يجب أن يدرسها كل مترجم بعناية قبل إقدامه على الترجمة من المندائية. كما ينبغي للمترجم أن يكون على اطلاع واسع بتاريخ وادي الرافدين ومنطقة الهلال الخصيب

^{٨١} / عزيز سباهي، المرجع السابق، ص / ٨١.

والموروث الحضاري والأسطوري لهذه المنطقة امتدادا من حران شمالا وحتى القرنة جنوبا حتى لا ينساق وراء الدلالة العربية لكلمة أسطورة على أنها خرافة بما تحويه من مدلولات سلبية على الترجمة في الفكر العربي. وكل هذا يتطلب، كما هو واضح، لجنة من المختصين بهذه المجالات يعهد إليها بالترجمة. لقد استغرق الوصول لصيغة مقبولة لترجمة الكتب المقدسة كالإنجيل (العهد القديم والعهد الجديد) مثلا عن الآرامية واللاتينية قرونا عديدة، واشترك في هذه الترجمة خيرة علماء اللاهوت و اللسانيات المسيحيين واليهود إلى أن جاءت بهذه الصورة المتقنة التي نقرأها في الطبقات العربية. إن شروع المندائيين بترجمة كتبهم المقدسة هو بادرة تستحق التقدير والتشجيع لأنها ستؤدي بالنهاية إلى إضاءة مجالات في التراث المندائي وستحفزهم لتبني نقل كتبهم الدينية إلى اللغة العربية ولا حقا الفارسية . لوجود جالية مندائية كبيرة في إيران لا تجيد العربية . والإنجليزية . لأجيال المندائيين التي ستنشأ في المهجر . لكون المندائيين هم الأولى والأحق في استخلاص مكنونات تراثهم ولغتهم وفك طلاسمها بدلا من تركها للمستشرقين الذين أفادوا منها كثيرا في مجالاتهم الأكاديمية. والترجمة ليست بالمهنة الغربية على الصابئة فقد برعوا فيها منذ القدم كما برعوا في العلوم والطب والهندسة والفلك والشعر والصياغة . ومن المعلوم فان الكتب المدونة باللغة المندائية ستبقى الوحيدة المستخدمة في الطقوس المندائية من قبل رجال الدين والعامه، إذ لا يجوز استخدام المترجمة إلى لغات أخرى في طقوسهم كونها لغتهم المقدسة التي حمتهم عبر تاريخهم الطويل ، ولكن التراجم ستتيح للمندائيين الاطلاع على لغة جميلة أصيلة كانت سائدة في بقاع كثيرة ردا طويلا من الزمن، ثم أهملت بسبب القهر والجور، وحن الآن وقت تعلمها وإحياءها. ٨١

هذا كله يشترطه الصابئة لمن يقوم بترجمة وبحث دينهم مع اعترافهم أنفسهم بأن البحث في طائفتهم شائك جدا (وإن كان تناول مواضيع عامة حول الديانة المندائية والمندائيين أمراً لا يخلو من صعوبة وجهد بحكم الغموض والانغلاق وعدم وجود تاريخ

^{٨١} الترجمة ومسؤولية نقل النصوص المندائية. صباح مال الله. موقع إتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

http://www.mandaeanunion.org/Language/AR_language_003.htm

شامل مكتوب أو أحداث متسلسلة) ٨٢؛ لذا نقرأ هذا الاعتراف من مؤلف صابئي معاصر كتب عن دينه: (والمؤلف يشعر بأن رجوعه إلى الأدب المندائي من خلال تراجمه الإنجليزية قد تسبب في نوع من الانتقائية أحيانا ؛ لأن ما ترجم منه إلى الإنجليزية خضع لتقديرات المؤلفين والمترجمين أحيانا) ٨٣.

ونلمس الغضب من بعض الصابئة تجاه أعمال المستشرقين: (إنه لمن دواعي سخرية القدر^{٨٤} أن يدرس المستشرقون الأجانب وهم من خارج البيت المندائي المندائية وما زالوا، وهذا دليل على أن المندائية قضية حية لا يزال الجدل دائر عليها ولم يتوصلوا إلى واحد من الألف من مكنوناتها ونقلوا النصوص المندائية من الآرامية التي جهلها أبناؤها ورجال دينها إلى لغتهم - وقرءوها بلغتهم العبرية، حيث إن أغلب الذين درسوا المندائية هم من اليهود أو تابعين لمؤسسات يهودية، كما هو الحال الآن في مؤسسة ارام ومؤتمراتها السنوية، ودرسوا اللوحة السريالية المندائية خطوطا وتقاطعات دون الغور في الفلسفة المندائية ودون اعتبار للعمر الزمني لتلك النصوص فخرجت تراجمهم وكتاباتهم مسطحة لا تغني ولا تشبع، وشوهوا العقل الباطن لتلك النصوص القيّمة والثريّة . وهم غير ملامين على ذلك صحيح أنهم أساتذة في اللغة وما نقلوه هو جهد عظيم من الناحية اللغوية ولكن ضيعوا علينا وعليهم فرصة الفهم العميق لتلك النصوص، من خلال التشويه المتعمد تارة والغير متعمد تارة أخرى، في تفعيل تلك

^{٨٢} / د. أنيس زهرون النائب الأول الديني لرئيس المجلس الأعلى لطائفة الصابئة المندائيين .مقدمة كتاب النشوء والخلق في النصوص المندائية.إعداد وترجمة د. صبيح السهيري. ص/ ٥ . بغداد . جامعة بغداد. ١٩٩٤ .

^{٨٣} /عزيز سباهي.المرجع السابق .ص/ ١١ - ١٢ وانظر: المندائية والحاجة إلى البحث العلمي ..مجلة آفاق مندائية . العدد ٢٨ . السنة التاسعة ٢٠٠٤ . ص/ ١٩ . وهذه المقالة ملخص محاضرة الباحث الصابئي " عزيز سباهي بذات العنوان

^{٨٤} / نحن كمسلمين نرفض عبارة سخرية القدر لتناقضها البين مع عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.وهذه فتوى العلامة محمد بن عثيمين -رحمه الله - بعض الكتاب يقولون: من سخرية القدر كذا وكذا، فهل يجوز هذا القول؟الجواب: لا يجوز للإنسان أن يقول هذا القول؛ لأن القدر تقدير الله عز وجل، وتقدير الله كله حكمة، نعم يسخر الله من بعض الناس كقوله تعالى: {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ} [التوبة: ٧٩] لكن القدر من حيث هو قدر ليس سخرية، كله حكمة، وكله موافق للصواب، وكله جد، لكن من سخر بالله، وبأولياء الله؛ سخر الله منه، ومن سخرية الله بهؤلاء أنهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، كما قال تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: ١٤- ١٥]. انظر: ملتقى أهل الحديث.

النصوص . وأتينا نحن بكل تراكماتنا وتناقضاتنا لنجد تلك النصوص المجذوبة وترجمها إلى اللغة العربية ،دون الرجوع إلى النص الأصلي . وهكذا نحن نقرأ كتبنا بلغتهم ، بلغة التلمود العبرية ، فزادت الأمور سوءاً واختلط الأصل بالتقليد، فضاع المندائيون هم وأبنائهم في هذا الخضم المتلاطم من التراجع، وضاعت معها الحقيقة فأصبح الحي – هو الحياة – وأصبح الحي المتفرد – هو الحياة الغريبة – ونحن نعبد الحياة الغريبة وهلم جرا... ومن خلال هذه التراجم الضعيفة التي صورت الدين المندائي كخرافات أو قصص شعبية... فهذا يسلس سيفه وذاك يتصارع مع الروهة.. وهذا يكبل ابنها.... ناسخين الرمز داخل الموضوع. مما شجع الآخرين أمثال خزعل الماجدي للتناول على المندائية وصورها على أنها مثيولوجيا وهذا ما سنأتي إلى ذكره لاحقاً. وبقصور من المندائيين صدقوا ما كتب عنهم الآخرون، وأصبح المندائيون خجولين من كتبهم وتاريخهم وقرأوا عقيدتهم العظيمة بلغة يهودية ، ووضعوا أيديهم على أعينهم، خجلين من تاريخهم وعقيدتهم، وقالوا نحن بريئين من كل هذا جهلاً.. وبغياب الوعي الديني ساعد هؤلاء الأجنب على القذف العلني أو المبطن للعقيدة . ومن ثمرة تهاون رجال الدين – هو الكتاب الذي صدر قبل حوالي سنتين للكاتب الدكتور جورج حربي (حربي زيون) وهو عن المندائية وباللغة الانكليزية وبمساعدة الكنيسة وذلك لأن هذا الدكتور هو مندائي متنصر ، أصدر كتابه هذا بطبعة أنيقة وجميلة ووزع على العائلات المندائية وبأسعار رمزية وهو كتاب ضخم بحوالي ٥٥٠ صفحة – وحدث ولا حرج – عن الكم الهائل من الأكاذيب وتشويه الحقائق التي يحويها هذا الكتاب، الأمر الذي جعلنا عبارة عن قوم من العصور الهمجية وعقيدتنا لا ترقى إلى مستوى عقيدة عبادة الأوثان، ونحن جزء لا يتجزأ من المسيحية... وكل يجر إلى ناحيته – ذاك إلى ناحية اليهود وهذا ناحية المسيحية واخذ شهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف وكما كرم خالد عبد الرزاق كرم حربي زيون.. على سبنا وقذفنا بألعن النوع. والمأساة في أننا عندما طلبنا من رجال ديننا التحرك لإدانة هكذا كتابات، فإنهم يردون و ببرود لا نظير له ((إنه حرية الرأي)). في الوقت الذي يحجمون من

يحمل ثقافة عالية في الدين وحجب أي مصدر من الممكن أن يستفاد منه في ترميم البيت المندائي؟ هنيئاً لكم يا رجالات ديننا - أيها الصفوة المدافعة عن الدين).^{٨٥}

نخلص مما سبق إلى أن الصابئة رغم امتنانهم للمستشرقين في الكشف عن موروثهم الديني إلا أنهم ما زالوا يرون أعمالهم لم تفض بالمطلوب نظراً لصعوبة الترجمة التي تحتاج إلى لغات عدة إضافة لباطنية الديانة المندائية التي يعترف بها أتباع الصابئة أنفسهم. كما يعترفون بأن المستشرقين هم في أصلهم ناشرون لدينهم النصراني.

بينما نجدهم في المقابل رغم كل ما سبق رغم ربط المستشرقين لدينهم بعقائد وثنية يقدهون في أعمال الباحثين المسلمين فيقول مترجماً كتاب دراور^{٨٦} بعد أن ذكر أسباب إجماع أتباع دينهم عن الكتابة عن معتقداتهم لجهلهم باللغة المندائية (إلا أن مجانبة كثير من الحقائق التي قام بنشرها المؤرخون والباحثون العرب في الوقت الحاضر إضافة إلى ما نشر عنهم الباحثون الفرنج وما ترجموه من كتبهم دفعنا بادئ ذي بدء رغم كل الصعوبات التي ذكرناها إلى محاولة تأليف كتاب عنهم ...)^{٨٧}، ويقول أحد هذين المترجمين مؤكداً ظلمه للباحثين المسلمين القدماء والمعاصرين: (أما المؤرخون والباحثون من العرب والمسلمين فقد كان مرورهم بهذا الدين بقدر ما يتعلق الأمر بتفسير آيات في القرآن الكريم ورد فيها ذكر للصابئين باعتبارهم من أهل الكتاب الذين يتسامح معهم وقد كانت إشاراتهم سطحية تهتم بالظواهر دون التعمق في البحث ودون الركون إلى ما لدى الصابئين من أدبيات وما تشير إليه شعائرتهم وطقوسهم من مدلولات . وقد أهمل المؤرخون أمر تاريخ هذا الدين إهمالاً يكاد يكون تاماً ... كما تناول دينهم وشعائرتهم مؤرخون وباحثون معاصرون في العراق وفي بعض الأقطار العربية الأخرى إلا أن دراستهم وأبحاثهم كانت في الأغلب بعيدة عن الحقيقة بل أقرب إلى الاستثارة الغربية إن لم نقل إلى الكسب المادي ثم قال أحدهما :عن

^{٨٥} / مقالة تاريخ المندائية بين المد والجزر . مؤيد مظلوم خسارة . موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر .

<http://www.mandaeenunion.org/ar/history/item/142-2013-02-22-01-22-46>

^{٨٦} / نعيم بدوي ، غضبان رومي .

^{٨٧} / مقدمة كتاب الصابئة المندائيون . دراور . ص / ٥

كتاب د. رشدي عليان: أسوق هذه المقدمة الموجزة لأخلص إلى أن الدراسة التي بين أيدينا عن الدين الصابئي والتي قام بها الأستاذ الفاضل الدكتور رشدي عليان أول دراسة علمية جادة يقوم بها باحث في اللغة العربية في الدين الصابئي مندائيا وحرانيا كما أنني أعتبرها بداية للبحث العلمي الموضوعي في هذا الحقل بالرغم من قلة المصادر المتوفرة لديه وبخاصة المصادر الأجنبية كما أنني أؤمل أن تكون هذه الدراسة بداية حسنة لدراسات علمية تالية تعتمد دراسة الدكتور عليان أساسا وتستعين بما كتبه وما سيكتبه علماء الاستشراق المتفرغون لهذا الموضوع في الوقت الحاضر)^{٨٨} ويقول آخر عن جهود العرب: (ظهرت كتب ودراسات عن المندائية باللغة العربية، ولكن أغلب تلك الكتابات كانت تفتقر للأسلوب العلمي الجاد. ولا يمكن الركون إلى أغلبها كما لم يتطرق أي من الباحثين للدور الكبير الذي لعبه المندائيون في نهضة العراق الحديث وعن دورهم البارز في إغناء الحضارة الإسلامية)^{٨٩}.

ويؤكد ذلك باحث صابئي معاصر بقوله (من المؤسف أن المسألة المندائية لم تحظ باهتمام مراكز البحث العربية والإسلامية رغم أهميتها في فهم تطور الفكر في المنطقة العربية في حقبة معينة من الزمن قبل وبعد ظهور الإسلام وما صدر من دراسات عربية عنها لا يعدو أن يكون معالجة عامة لا تقدم إجابات جديّة للكثرة الكاثرة من الأسئلة المحيرة التي تثيرها هذه المسألة المعقدة، ونعني بها البحث في أصولهم وأصول معتقداتهم وأفكارهم عامة)^{٩٠} ويبرر ذلك بأن البحث في ديانتهم يتطلب (ليس إتقان اللغة المندائية وحدها وإنما أيضا مجموعة من اللغات الأخرى لاسيما السريانية والعبرية والإغريقية وربما كان هذا واحدا من الأسباب التي دفعت إلى إحجام مراكز البحث الجامعي في بلدان المشرق العربي عن دخول هذا الميدان الشائك من البحث) م

^{٨٨} / د. رشدي عليان. الصابئة. المرجع السابق. مقدمة الصابئي المندائي: نعيم بدوي ص / ١١ - ١٣

^{٨٩} / صبحي مال الله. المندائيون من هم وإلى أين؟ <http://mandaeen.dk/node/22> موقع الجمعية الخيرية المندائية في الدنمرك.

^{٩٠} / عزيز سباهي. المرجع السابق. ص / ١٠

المبحث السادس

نماذج لبعض المستشرقين

إن الكتابة عن المستشرقين الذين بحثوا في ديانة الصابئة المندائيين^{٩١} يحتاج إلى أبحاث مطولة لا تناسب أبحاث الترقية؛ لذا سأقتصر في هذا المبحث على ذكر بعض النماذج لهم، ولن أذكر هنا المستشركة الليدي دراور فقد أفردتها ببحث خاص عنها؛ لأن لها دورا بارزا خاصة في حياتهم.

ومن هؤلاء المستشرقين:

١/ ماتياس نوريري:

ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٨٢٦ .

اشتهر نوريري لدى الكثير من الباحثين باللفظ الانكليزي لاسمه ماثيو نوربرغ . المستشرق السويدي من أساتذة جامعة لوند وأكثر ما عني به الآداب السريانية والتركية ونقل بعض التواريخ العثمانية إلى السويدية^{٩٢} . اهتم نوريري منذ شبابه في دراسة اللغات القديمة مما دفعه للالتحاق بجامعة أوسلا والدراسة فيها ليحصل عام ١٧٧٣م على شهادة الماجستير لرسالته الموسومة " كتاب العهد الجديد في اللغة السريانية" .

ثم عين مدرس اللغة الإغريقية في الجامعة نفسها لكنه لم يواصل بل شرع في تخصصه في الاستشراق لمدة خمس سنوات في العديد من الدول أهمها اليونان وتركيا فحصل على التقدير والاستحسان من بلاط السويد الملكي ثم أوقف رحلته وأثر المكوث في تركيا لكي يتعمق في دراسة المخطوطات الشرقية تحديدا العربية والتركية . حصل

^{٩١} / راجع :مستشرقون غربيون خدموا الديانة المندائية. <http://mandaeen.dk/node/23880> موقع الجمعية الخيرية

المندائية في الدنمرك

^{٩٢} / نجيب العقيقي، المستشرقون، ج/٣، ص/ ٢٤. القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، وانظر: د. يحيى مراد، معجم أسماء

المستشرقين، ص / ٦٨٥ . بيروت . دار الكتب العلمية .

على شهادة الدكتوراه من جامعة كوبنهاجن الدنماركية كما نال لقب بروفيسور في اللغة الإغريقية واللغات الشرقية من قبل جامعة لوند السويد عام ١٧٨٠ وقد استمرت خدمته في الجامعة المذكور لحين تقاعده حيث قدم خلالها أكثر من ١٥٨ بحثا أكاديميا .

دوره في ديانة الصابئة المندائيين :

يعد نوربري أول مستشرق ترجم الكتاب الأول للصابئة المندائيين "كنز ربا" فقد أهتم بالموضوع مشرعا بالبحث عن المخطوطات المندائية في كل مكتبات أوروبا تحديدا في هولندا والمملكة المتحدة، لكنه لم يعثر على شيء فواصل البحث في مكتبة باريس الوطنية حيث عثر على نسخة مندائية قديمة لكتاب المندائيين المقدس كنز ربا فبدأ بنسخها خطيا ليحتفظ بها لنفسه ولغرض دراستها وترجمتها في مقر أبحاثه في السويد . وفي عام ١٨١٥ م أصدر كتابه "الناصرانيون" وهي عبارة عن ترجمة لاتينية لكتاب المندائيين المقدس كنز ربا حيث اعتمد في ترجمته على أقدم نسخة للكنز ربا على الإطلاق المتواجدة في باريس والتي نسخها خطيا قبل سفره إلى الشرق الأوسط. اقتصرت هذه الترجمة على ثلاثة مجلدات بضمنها النص المندائي مطبوعا بالحروف السريانية، وبالرغم من استحسان الأدباء لهذه الترجمة لكنها واجهت انتقادات شديدة من بعض الباحثين حيث اعتبروا طريقة الترجمة غير ملتزمة وفق معايير الترجمة الأكاديمية بل حتى نظريته عن أصل ولغة المندائيين كانت مبنية على أسس غير رصينة.

تؤكد بعض المصادر بأن نوربري شعر بأسف وحسرة في السنوات الأخيرة من عمره وذلك لكونه لم يحاول أن يرى المندائيين بأم عينه في الوقت الذي كان بالقرب منهم في محطات استشراقه.

وعلى الرغم من انتقاد الباحثين لطريقة ترجمته لكن تعد هذه الخطوة بحق حجر الأساس لحقل البحوث المندائية فقد اعتمدت نسخة الكنز ربا التي اكتشفها نوربري

في باريس من قبل الكثير من الباحثين^{٩٣}. ويعتبر الصابئة ترجمته غير دقيقة رغم أوليتها^{٩٤}

ويؤكد ذلك أحد الصابئة المعاصرين فيقول: (جرت ترجمات لكتابه الرئيسي (الكنز ربا) للغات عدة قام بها في البداية المستشرقون ومن ثم العرب . ولكن كل تلك الترجمات بما فيها الترجمة العربية الأخيرة بعيدة كل البعد عن جوهر الكتاب . وربما تمثل تعريفاً بسيطاً به لا أكثر)^{٩٥}.

٢ / المستشرق نقولا سيوفي:

مؤرخ ولد بدمشق ١٨٣٥ م ودرس اللغتين العربية والفرنسية بمدرسة الآباء اللعازيين وعين ترجمانا بالاقنصلية الفرنسية واستوطن مدينة بيروت ومكث بخدمة القنصلية الفرنسية ثم سمي قنصلاً لفرنسا في حلب والموصل ثم في بعيدا بلبنان^{٩٦}. ثم درس اللغتين التركية والإيطالية فأتقنهما وكان قد أتصل بالأمير عبد القادر الجزائري فقربه إليه واصطحبه في إحدى سفرياته إلى باريس والقسطنطينية. منح الجنسية الفرنسية عام ١٨٦٦م وتقل سفيراً لها في عدة مدن عربية. وقد خدم الأهداف الفرنسية في صراعها على منطقة الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر، لذلك كانت له مشاركة في الاضطرابات بين اليزيدية في ولاية الموصل والدولة العثمانية. عرف ولع سيوفي الشديد بالتحف والآثار لذلك عد أحد الخبراء فيها، وقد زود فرنسا بمختلف المخطوطات والآثار فضلاً عن متاحف ألمانيا وانجلترا، وقرر الاستقرار في لبنان حتى مات سنة ١٩٠١م. وأهم آثاره:

^{٩٣} / ديار باسم الحيدر. ماتياس توريري . المترجم الأول للكنز ربا .

^{٩٤} / انظر: خزعل الماجدي. كنزاً رباً آخر صفحات الشعر الرافديني. موقع اللحظة الشعرية. حيث قال: حتى ترجم لأول مرة

على يد السويدي مائيس نوربرج في مستهل القرن التاسع عشر ترجمة غير دقيقة.

http://fawzikarim.com/poetry_moment/issue_18_spring_2010/poetry_momentl_issue_18_10.htm

^{٩٥} / عزيز سباهي. الصابئة المندائيون. موقع معكم . <http://maakom.com/site/article/127>

^{٩٦} / عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين ج/ ١٣. ص/ ١١٦ بيروت. دار إحياء التراث العربي.

(١) مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل باللغة الفرنسية ويتألف من مجلدين. جمع في الأول الكتابات العربية وفي الثاني علق على هذه الكتابة واعتمد في تعليقاته على ما سمعه من المعمرين من أهل الموصل وعلى كتب ياسين بن خير الله الخطيب العمري وكتب يوسف عبد الجليل الحلبي.

(٢) الصابئة عقائدهم وتقاليدهم وطبع عام ١٨٨٠ م في المطبعة الوطنية ببافيس وترجم إلى الروسية والعربية

(٣) ٣- لائحة تتضمن ما ارتكبه البروسيون في فرنسا من المظالم في حرب ١٨٧٠ م

(٤) بحث عن ختم السلطان المنغولي "الجايغو- إنجيتو- خدا بنده"

(٥) أبحاث عن النقود الإسلامية.^{٩٧}

دوره في ديانة الصابئة:

ألف كتابا خاصا عن الصابئة وعقائدهم، وقد يسر الله لي الوصول إلى كتابه الموسوم باسم "الصابئة.. عقائدهم وتقاليدهم"، وقد تضمن ٣٣ فصلا تناول خلالها أصل الصابئة ونبههم يحيى وطقوسهم الدينية في سائر مناحي حياتهم وختمه بإحصائيات عن عدد الصابئة في زمانه مع ذكر لأبجديتهم مع خاتمة بملاحظاته على عقيدتهم ومقالات كتبت عنهم.

ولاحظت على كتاب سيوفي أنه اعتمد في كتابه ليس على مخالطة ومشاهدة مباشرة للصابئة بل اعتمد كتابه كله على صابئي أرتد عن دينه وتنصر وأنه كان يعد ليكون كاهنا صابئيا فيقول: (منذ وصولي إلى بغداد عام ١٨٧٣ أثارت اهتمامي طائفة الصابئة ومنذ استقراري وأنا أبحث بعناية عن الديانة الحقيقية لهذه الطائفة المجهولة حيث يبذلون جهدا في إخفاء ليس فقط الأصول الحقيقية لديانتهم ولكن أيضا آدابهم وأعرافهم وأسلوب عيشهم. لوقت طويل ذهبت جهودي سدى.... عدد من الأوربيين قالوا لي إنه بالإضافة إلى الصعوبة التي ذكرتها صعوبة أخرى أساسية إلا

^{٩٧} انظر: تيسير خلف. نقولا سيوفي. مقدمة كتاب نقولا سيوفي الصابئة: المرجع السابق. ص/ ٩- ١٤، مجلة شعوب. تاريخ

٦/٥/٢٠١٣ م مقالة: نقولا سيوفي. <http://archive.is/qRyFs>

وهي جهل الصابئة شبه الكامل باللغة العربية. الأمل الوحيد المتبقي أمامي هو البحث عن طريقة تجمعني مع أحد كهنتهم في يوم جاءني أمين الإرسالية الكرملية في بغداد برفقة بدوي في الخامسة والعشرين من عمره قال لي : هذا صابئي سيكون مفيدا جدا لكم والده شيخ صابئي وهو نفسه كان مرشحا ليخلف والده في المشيخة وقد قام بكل الدراسات الواجبة في الديانة الصابئية تلك التي تتطلبها المشيخة ولكنه قرر أخيرا أن يعتنق الكاثوليكية فهجرت بلده وأتباع دينه الذين لم يعودوا يرغبون في إقامته بينهم ولقد واجهت هنا صعوبات كثيرة بالكاد تجاوزتها حيث إن آدم - وهو اسم الصابئي المنتصر - لا يتقن سوى لغته الأم وهي لغة الصابئة . كان جاهلا تماما باللغة العربية ويجد صعوبة في تهجيتها، ولا يعرف منها سوى ما يحتاجه الناس في الأرياف. وكان يجد صعوبة كبيرة في إيجاد التعبير المناسب ليعبر عن كل ما يريد أن يقوله لي، ولقد بذلت جهدا لتسهيل مهمته فكنيت اقترح عليه تعابير كان يُخيل إلي أنه يبحث عنها وأقدم له شروحات ؛ حتى أتأكد أخيرا من أن هذا ما يريد إيصاله لي وكلما عملنا أكثر كلما أتضح أكثر، وكلما قلت صعوبة فهمي له. لقد تعلمت إذن الكتابة والقراءة بلغة الصابئة لكي أستطيع أن أنسخ بنفسي في مفكرتي المقاطع الأصلية والصيغ التي تحمل الكثير من الأهمية، بهذه الطريقة استطعت أن أنجز هذا العمل (٩٨٠) وهذا النقد ذكرته المستشرقة دراوار عن كتاب نيقولا سيوفي فقد كتبت) لم ير سيوفي طقسا واحدا بأم عينيه، بالرغم من أن مساهمته تعتبر أعظم ما عرف عن هذه الطائفة خارج محيط كتبهم، لقد كان معتمدا بصورة تامة على بيانات النابذيين من الصابئيين؛ لذا ظل هذان الكتابان ٩٩ في القشر ولم ينفذا عميقا في روح هذه الطائفة أو يصلا إلى جوهر تعاليمها (١٠٠).

^{٩٨} / نيقولا سيوفي. ص/ ١٥ - ١٧. واتساءل كيف تمت الترجمة الدقيقة والوصول لحقيقة ديانة هي في أصلها ديانة باطنية

سرية ١١١١٩

^{٩٩} / تقصد كتاب " ثلاثة أشهر في الأهوار جنوبي العراق" لمؤلفه بيتر مان وكتاب نيقولا سيوفي

^{١٠٠} / الليدي دراوار. المرجع السابق. ص/ ٢٥.

٣/ المستشرق: رودولف ماتسوخ :

ولد ١٩١٩م وتوفي عام ١٩٩٣م .

(يعتبر البروفيسور كورت رودولف من أبرز العلماء الألمان الذين اهتموا بتاريخ الأديان وفلسفتها، وهو حجة في موضوع الغنوصية. فكتب في ذلك كتابه الغنوصية. طبيعة وتاريخ الغنوصية. درّس في جامعات أميركية عدة وشغل منصب بروفيسور في جامعة فيليبس في مدينة ماربورغ الألمانية قبل تقاعده. وهو عضو فخري مدى الحياة في الاتحاد الدولي لتاريخ الأديان.

دوره في ديانة الصابئة المندائيين :

ألف: كتاب "المندائيون" (بالألمانية ١٩٦٠ - ١٩٦١ في مجلدين)، وكتاب آخر بالانكليزية عن المندائيين (لايدن ١٩٧٨)، (كما ترجم أحد كتبهم الدينية "ديوان نهرواثا" (أي ديوان الأنهر، برلين ١٩٨٢).^{١١}

واشترك مع الليدي دراور في وضع القاموس المندائي الوحيد فقد شعرت بأنها بحاجة لمن يتقن اللغات السامية، فقامت باستدعائه وكان يعمل في ذلك الوقت أستاذاً في جامعة طهران لمساعدتها في انجاز القاموس، وأصدر أول قاموس للغة الآرامية المندائية في أوائل سنة ١٩٦٣م، وكتب كتاباً عن اللغة المندائية الكلاسيكية والحديثة عام 1965 ويشار إليه على أنه أبرز الباحثين الألمان المعنيين بالدراسة المندائية فقد زار العراق مرتين خلال الأعوام ١٩٦٧ - ١٩٧٣. ورأس معهد الدراسات السامية والعربية في جامعة برلين، وتبنى المعهد إقامة مؤتمر دولي عن المندائية كل أربع سنوات.^{١٢}

^{١١} / رودولف: أصل الصابئة المندائيين يعود إلى سورية وفلسطين. موقع إتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

<http://www.mandaeenunion.org/ar/history/item/40-origins-of-mandaeans>

^{١٢} / د.قيس مغشغش السعد. مؤتمر جامعي وتعميد مندائي في برلين. موقع الناس. [http://al-](http://al-nas.com/ARTICLE/KMaSaadi/15mn.htm)

[nnas.com/ARTICLE/KMaSaadi/15mn.htm](http://al-nas.com/ARTICLE/KMaSaadi/15mn.htm)

وألف كتاب " اللاهوت وخلق الكون والإنسان في الكتابات المندائية " باللغة الألمانية (الذي يحتوي على عدد كبير من النصوص المندائية منسوخة بالحرف اللاتيني وتكمن أهميته في أنه أول كتاب تناول هذا الموضوع بإسهاب ... إذ استطاع أن يستقرى آراء معظم ما كتب في هذا الحقل إضافة إلى أنه قام بدراسة جميع النصوص المندائية بلغتها الأصلية، ونشر مقالات وبحوثاً عن المندائية؛ إلا أن بعض أفكاره لا تخلو من آراء غريبة عن جوهر الديانة المندائية إضافة إلى أنه اعترف لنا شخصياً عند زيارتنا لجامعة ماربورك عام ١٩٩٠ - ببعض الأخطاء التي جاءت في كتابه (١٠٣).

٤/ ثيدور نولدكه:

ولد عام ١٨٣٦ م في ألمانيا من أسرة شغل أفرادها مناصب علمية وإدارية وتعلم العديد من اللغات : السامية والعربية والتركية والعبرية والسنسكريتية والفارسية وشغل باللغة المندائية والسريانية ..عمل أستاذاً للغات الشرقية والتاريخ الإسلامي في عدد من الجامعات. وأنشأ مركزاً للدراسات الشرقية في ألمانيا، والعجيب أنه لم يرحل مطلقاً إلى البلاد العربية والإسلامية؛ مع أن تخصصه وعمله كله يتعلق بلغات هذه البلاد وآدابها وتاريخها وجغرافيتها.

توفي في ألمانيا عام ١٩٣٠ م

من كتبه:

- ١- أصل وتركيب سور القرآن. نال بها جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس وهو رسالة علمية.
- ٢- تأريخ النص القرآني.
- ٣- اللغات السامية^{١٠٤}.

^{١٠٣} د. صبيح السهيري. مقدمة كتاب النشوء والخلق في النصوص المندائية. كورت رود ولف. ص/ ٨- ٩. بغداد. جامعة بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٩٤ م

^{١٠٤} / انظر في ترجمته: د. عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ص/ ٥٩٥ - ٥٩٨. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. نجيب العقيلي. المرجع السابق. ج. ٢. ص/ ٣٧٩ - ٣٨٢ ، يحيى مراد. المرجع السابق. ص/ ٦٨٦ - ٦٨٧

ما يقوله الصابئة المندائيون عنه:

عني المستشرقون باللغة المندائية عناية خاصة، وأقدم ما ألف عنها هو كتاب المستشرق الألماني (نولدكه) الذي نشره عام ١٨٧٥، وقد أعتمد في دراسته المندائية على الأدب دون الاحتكاك المباشر مع أهلها وبذلك وردت ثغرات كانت سببا لأسفه الذي أعلنه بعد ذلك. ومع ذلك فإن كتابه بقي معتمدا من قبل المستشرقين الذين عادوا المحاولة بعد مرور قرن على صدور كتابه^{١٥} مع ما يؤخذ عليه أن أمثلته كانت باللغة العبرية^{١٦}.

٥/ مارك ليدزبارسكي:

بولوني الأصل ولد عام ١٨٦٨ م قرأ العبرية وهو صغير وترجم منها ودرس تفسير التوراة ولما عارضته أسرته في استكمال دراسته في الخارج غادرها حتى تعلم فقه اللغات السامية واللغة الآرامية والكتابات الشرقية في برلين واعتنق النصرانية ونال عدة شهادات علمية وعين أستاذا جامعيا .

دوره في ديانة الصابئة:

(١) منتخب من المخطوطات الآرامية متنا وترجمة وشرحا.

(٢) صلوات المندائية^{١٧}.

^{١٥} / دراسة مقارنة بين اللغة المندائية واللغة العربية ناجية المراني. موقع الشبكة المندائية.

[http://www.mandae.com/index.php?option=com_content&view=article &id=1599:2012-01-23-06-44-36&catid=79:-&Itemid=290](http://www.mandae.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1599:2012-01-23-06-44-36&catid=79:-&Itemid=290) vhs

^{١٦} / د. قيس مغشغش السعد مؤتمر جامعي وتعميد مندائي في برلين <http://al->

nnas.com/ARTICLE/KMaSaadi/15mn.htm موقع الناس

^{١٧} / نجيب العقيلي، المرجع السابق، ج/ ٢، ص/ ٤٢٣ .

٣) صاحب أول ترجمة كاملة للكنزاً ربا من المندائية إلى الألمانية، (والتي أمضى فيها هذا المستشرق سنوات طويلة في ترجمتها عن المندائية، بعد أن قام بتنقيحها ومقارنتها بنصوص متعددة من كتاب كَنزاً ربا الموجودة في مكتبات أوكسفورد ولايدن وميونخ ونسخة باريس التي يعود تاريخها إلى سنة ١٥٦٠ م، وكذلك مع مخطوطات يوحنا ، بعد تكليفه بذلك من قبل جامعة كوتينكن الألمانية في عام ١٩١٣ . وقد أتم ليدزبارسكي ترجمة كتاب الصابئة المقدس كَنزاً ربا خلال العامين ١٩١٦ و ١٩١٧ بعد أن واجهته صعوبات جمة في الترجمة منها أن هناك عددا كبيرا من المفردات المندائية تحتوي على معان غامضة أو متباينة، كما أن الكثير من النصوص تطغي عليها الرمزية المليئة بالمفاهيم المستمدة من حضارات وادي الرافدين و منطقة الهلال الخصيب وقد ساق العديد من الأمثلة على ذلك أوردها في حواشي و متن الترجمة التي قام بها)١٠٨

وقد نقدت المستشرقة دراور عمله فكتبت (ليدزبارسكي نفسه الذي هيا لنا أحسن الترجمات لأكثر كتبهم المقدسة ، كان قد وقع قي أغلاط هنا وهناك حين كان ينقل فقرات تتعلق بالشعائر، إن معرفته باللغات السامية لم توضح له من الطقوس ما توضحه مشاهدتها عيانا)١٠٩ .

^{١٠٨} / الترجمة ومسؤولية نقل النصوص المندائية . صباح مال الله. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر .

http://www.mandaeanunion.org/Language/AR_language_003.htm

^{١٠٩} / المستشرقة دراور. المرجع السابق. ص/ ٣٢

الخاتمة :

الحمد لله الذي أكرمني بنعمة إتمام هذا البحث الذي عانيت طويلا من ندرة مراجعه. والحمد لله أن يسر الله لي الكتابة فيه رغم هذه الصعوبات بوضع خطوط أولية لعلها تكون بابا ينفذ منه الباحثون من بعد لإكمال بصورة متكاملة.

أهم النتائج :

- ١) مصطلح الصابئة الاصطلاحي اختلف حوله العلماء بأقوال عدة.
- ٢) الصابئة المندائيون طائفة غنوصية باطنية متعلقة على نفسها مما جعل أبنائها يستعينون بكتابات المستشرقين لاستكشافها.
- ٣) اختلاف ردود أفعال طائفة الصابئة المندائيين حول أعمال المستشرقين.
- ٤) أهداف المستشرقين حول ديانة الصابئة المندائيين هي الهدم والتشكيك والتنصير وغير ذلك من أهدافهم المعلومة بالضرورة.

أهم التوصيات :

- ١) أتمنى كتابة أبحاث علمية منهجية خاصة بالمستشرقين وأعمالهم في العراق ماضيا وحاضرا وآثار ذلك على استقراره وأمنه ووحدته.
- ٢) توفير كتب عن أعلام المستشرقين.
- ٣) الاستفادة من وجود طلاب وطالبات معاهد اللغة العربية للناطقين بغيرها سواء في جامعتنا أو غيرها من العالم الإسلامي لترجمة مؤلفات المستشرقين للاستفادة منها.
- ٤) الربط الإلكتروني المباشر بمكتبات العالم التي تضم تراثنا العربي ومؤلفات المستشرقين: ليتيسر الوصول إليها.
- ٥) إنشاء مكتبة شاملة الكترونية لمؤلفات المستشرقين المترجمة وغير المترجمة.
- ٦) وأختم بحثي بالدعاء لله تعالى أن يتقبله مني برحمة منه ويجعله شاهدا لي لا علي ولوالدي وذريتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع :**أ/ الكتب :**

- ١) أحمد ابن تيمية. الرد على المنطقيين . تحقيق: د. رفيق العجم. بيروت. دار المصدر اللبناني. الطبعة الأولى. ١٩٩٣ .
- ٢) أحمد ابن تيمية . بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. تصحيح وتعليق . محمد عبد الرحمن قاسم. مكة. مطبعة الحكومة. الطبعة الأولى . ١٣٩١
- ٣) أحمد غراب . رؤية إسلامية للاستشراق . لندن. المنتدى الإسلامي.
- ٤) إسماعيل بن كثير . تفسير القرآن العظيم. ج/ ١. تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد عاشور، محمد البنا. القاهرة . دار الشعب.
- ٥) جار الله الزمخشري. تفسير الكشاف حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل. بيروت. دار المعرفة.
- ٦) جمال الدين ابن الجوزي . تفسير زاد المسير في علم التفسير. ج/ ١. بيروت . المكتب الإسلامي . الطبعة الخامسة . ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .
- ٧) جمال الدين محمد بن منظور . لسان العرب . ج/ ١ . ص/ ١٠٨ . بيروت . دار صادر.
- ٨) د. جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . ج/ ٦. بيروت . دار العلم للملايين، بغداد. مكتبة النهضة. الطبعة الأولى . ١٩٧٠ .
- ٩) جيو وايد نغرين . الزندقة . ترجمة :أ. د. سهيل زكار. دمشق. دار التكوين. ٢٠٠٥ .
- ١٠) المستشرقة دراور. الصابئة المندائيون. ترجمة: نعيم بدوي وغبسان رومي. بيروت. الدار العربية للموسوعات. الطبعة الثانية. ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ .
- ١١) د. رشدي عليان. الصابئة. حرانيون ومندائيون. بغداد.
- ١٢) سليم برنجي. الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيون . مقدمة محمد محيط طباطبائي بعنوان نظرة على الكتاب . بيروت . دار الكنوز . الطبعة الأولى . ١٩٩٧ .
- ١٣) سيد قطب. في ظلال القرآن. جدة. دار الشروق. الطبعة الثامنة. ١٣٩٩ - ١٩٧٩ .
- ١٤) د. عقيد خالد، د. يحيى أحمد. الصابئة المندائيون وعقائدهم. بيروت. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ .

- (١٥) عباس السكسكي الحنبلي . البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان . تحقيق: د. بسام العموش. الأردن. مكتبة المنار. الطبعة الثانية. ١٤١٧ - ١٩٩٦ .
- (١٦) د. عبد العزيز المرشدي. الصابئون بين الماضي والحاضر. القاهرة. ١٩٩٦ .
- (١٧) عزيز سباهي. أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية . دمشق. دار المدى. الطبعة الرابعة ٢٠٠٨ .
- (١٨) عقيلة حسين. المرأة المسلمة والاستشراق . دار ابن حزم . الطبعة الأولى. ١٤٢٥ - ٢٠٠٤ .
- (١٩) علي سيف الدين الأمدي. أبحاث الأفكار في أصول الدين . تحقيق: أحمد المزيدي . بيروت . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى. ٢٠٠٢ - ١٤٢٤ .
- (٢٠) الإمام علي بن محمد الماوردي . تفسير النكت والعيون . راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت. دار الكتب العلمية .
- (٢١) د. علي النملة . ظاهرة الاستشراق مناقشات في المفهوم والارتباطات . الرياض . مكتبة التوبة . الطبعة الثانية. ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ .
- (٢٢) د. عبد الأمير الأعسم. الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر . سلسلة كتب الثقافة المقارنة. الاستشراق. العدد الأول ١٩٨٧ . بغداد . دار الشؤون الثقافية العامة
- (٢٣) فخر الدين الرازي. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . ضبط وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت. دار الكتاب العربي . الطبعة الأولى. ١٤٠٧ - ١٩٨٦
- (٢٤) د. قاسم السامرائي . الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية . الرياض. دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع . الطبعة الأولى . عام: ١٤٠٣ - ١٩٨٣
- (٢٥) كورت رود ولف. النشوء والخلق في النصوص المندائية. إعداد وترجمة: د. صبيح السهيري. بغداد . جامعة بغداد الطبعة الأولى . ١٩٩٤ م .
- (٢٦) محمد ابن قيم الجوزية. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان. بيروت. دار المعرفة.
- (٢٧) الإمام محمد ابن جرير الطبري . جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: د. عبد الله التركي. الجزيرة. دار هجر . الطبعة الأولى. ١٤٢٢ - ٢٠٠١ .

- (٢٨) محمد بن أحمد القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . تحقيق: د. عبد اله التركي، محمد رضوان عرقسوسي . بيروت . دار الرسالة . الطبعة الأولى . ١٤٢٧ - ٢٠٠٦
- (٢٩) محمد البشير مغلي . مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب . الرياض . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الطبعة الأولى . ١٤٢٢ - ٢٠٠٢
- (٣٠) محمد الجزائري . المندائيون الصابئة . الأردن . المعهد الملكي للدراسات الدينية .
- (٣١) محمد بن حزم . الفصل في الملل والأهواء والنحل . تحقيق: د. محمد نصر، عبدالرحمن عميرة . مكتبة عكاظ . الطبعة الأولى . ١٤٠٣ - ١٩٨٢
- (٣٢) محمد الشوكاني . فتح القدير الجامع بين دفتي الرواية والدراية من علم التفسير . علق عليه ووثق نصوصه: سعيد اللحام . مكة . المكتبة التجارية . ١٤١٣ .
- (٣٣) محمد بن صالح العثيمين . تفسير القرآن العظيم . تفسير الفاتحة وسورة البقرة . الرياض . دار ابن الجوزي . الطبعة الأولى . ١٤٢٣ .
- (٣٤) محمد عبدالكريم الشهرستاني . الملل والنحل . تحقيق: عبد الأمير المهنا، علي فاعور . بيروت دار المعرفة . الطبعة الأولى . ١٤١٠ - ١٩٩٠
- (٣٥) د. محمد البهي . الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . القاهرة . مكتبة وهبة . الطبعة التاسعة . ١٤٠١ - ١٩٨١
- (٣٦) ناجية مراني . مفاهيم صابئية مندائية . بغداد . الطبعة الثانية . ١٩٨١ ،
- (٣٧) نادية انجيليسكو . الاستشراق والحوار الحضاري . الشارقة . دائرة الثقافة والإعلام . الطبعة الأولى عام : ١٩٩٩ .

ب/ الموسوعات :

- (١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . الرياض . الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الطبعة الثالثة . ١٤١٨
- (٢) نجيب العقيلي . المستشرقون . القاهرة . دار المعارف . الطبعة لرابعة .
- (٣) د. يحيى مراد . معجم أسماء المستشرقين . بيروت . دار الكتب العلمية .
- (٤) عمر رضا كحالة . معجم المؤلفين . بيروت . دار إحياء التراث العربي .

ج/ الدوريات:

- ١) مجلة آفاق مندائية . العدد ٢٧ السنة الثامنة ٢٠٠٣.
- ٢) مجلة آفاق مندائية . العدد ٢٨ . السنة التاسعة . ٢٠٠٤ .
- ٣) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . العدد ٧ . ربيع الثاني ١٤١٢ .

د / المواقع :

- ١- اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر .
- ٢- موقع معكم .
- ٣- مجلة شعوب .
- ٤- موقع الناس .
- ٥- مندائية نت .
- ٦- منتديات الجامعة الإسلامية . قسم الحوار عن المذاهب الفكرية . ٢٠٠٤ .
- ٧- مركز المدينة المنورة للدراسات الاستشراقية .
- ٨- موقع الحضارية معهد الأبحاث والتنمية الحضارية «دراسات شرقية غربية .